إضاءة الدُّجُنَّة في اعتقاد أهل السنة

تأليف

العالم الشيخ أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري

ولتمام النفع وضعنا عليه شرح

الشيخ محمد بن أحمد الملقب بالداه الشنقيطي

ويليـــه

أوجز السير لخير البشر لابن فارس

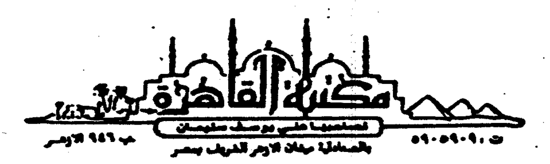
راجعه وعلق عليه وصححه

الشيخ أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري

رقم الإيداع : ٩٦/٤٨٤٥

الطبعة الخامسة

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠[illegible] م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل علم التوحيد أفضل العلوم ومن عرفه خرج من ربقة التقليد المذموم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاءنا بتوحيد الحى القيوم فجزاه الله عنا أفضل ماجزى به أحداً من خلقه على العموم .

وبعد : فيقول أفقر العبيد الى مولاه ولاسيما فى رمسه وفى وقوفه بين يدى الإله الطالب من ربه أن يقابله بما يرضاه ويجعل الجنة مثواه محمد بن أحمد الملقب بالداه الشنقيطى قدسألنى بعض الجاعة أن أعمل شرحا على المنظومة المسماة بالإضاءة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل فاجبتهم الى ذلك راجياً الثواب من الله ورغبة فى أن أكون داخلا فى جملة من علم دين الله والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه انه على كل شىء قدير وبالإجابة جدير ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وهو حسبى ونعم الوكيل وبه أستعين .

يَقُولُ أَحْمَدُ الْفَقِيرُ الْمَقَرِيُّ ... الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوْحِيدُهُ ... أَجَلُّ مَا اعْتَنَى بِهِ عُبَيْدُهُ
الْعَالِمِ الْحَيِّ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ... الْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالْإِطْلَاقِ
مُرْشِدِنَا مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ ... بِصُنْعِهِ الْمُعْرِبِ عَنْ وُجُودِهِ

(يقول أحمد) هذا اسم المصنف (الفقير) دائم الاحتياج إلى رحمة ربه لأن الفقر وصف لازم للعبد كما أن الغنى وصف لازم لله قال الله يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد (المقرى) المنسوب إلى مقرة بلدة بالمغرب (المغربى) المنسوب إلى المغرب (المالكى) مذهباً (الأشعرى) اعتقاداً .

(الحمد لله) بدأ المصنف بالحمد اقتداء بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع[1] والحمد لغة هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم واصطلاحا فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما (الذى توحيده) اعتقاد كونه واحدا (أجــل) أشرف وأعظم (ما اعتنى) اهتم (به عبيده) لأنه من أشرف العلوم وبه سعادة الدارين روى أنه قيل يا رسول الله نسألك عن العمل فتجيب بالعلم فقال إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وكثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله[2] وقال الجنيد أول مايحتاج اليه معرفة المصنوع صانعه .

(العالم) الموصوف بالعــلم الذى انكشف له به كل واجب ومستحيل وجائز (الحى) الموصوف بحياة قديمة باقية (القديم) الذى لم يسبق وجوده عدم ولا ابتداء له (الباق) الذى لا انتهاء لوجوده ولايلحقه عدم (الغنى) الذى لا يحتاج الى محل ولا الى مخصص (بالاطلاق) عن التغيير فهو غنى عن كل شىء وكل شىء مفتقر اليه .

(مرشدنا) مهدينا والهداية خلق القدرة على الطاعة (من فضله) احسانه (وجوده) كرمه (بصنعه) بفعله وخلقه ما سواه من العالم (المعرب) المبين

---

(١) رواه ابن ماجه والبيهقى عن أبى هريرة وهو حديث حسن .

(٢) لفظ الحديث : « أفضل الأعمال العلم بالله ان العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وان الجهل لاينفعك معه قليل العمل ولا كثيره » رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول واسناده ضعيف .

سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ النَّظَائِرِ ... وَكُلِّ مَا يَخْطُرُ فِى الضَّمَائِرِ
وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ... لِمَنْ حَوَى جَوَامِعَ الْكَلَامِ
وَأَفْهَمَ الحَقَّ ذَوِى الْأَذْهَانِ ... وَأَفْحَمَ الْخُصُومَ بِالْبُرْهَانِ
وَحَضَّ كُلَّ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا ... شَهَادَةً تَزْكُو بِهَا الْعُقُولُ

والمفصح (عن وجوده) فصناعته وهو ظهور هذا العالم دليل واضح على وجوده عز وجل .

(سبحانه) تنزيها له عن كل نقص (جل) عظم (عن النظائر) عن أن يكون له شبيه أو مثيل فى ذاته أو صفاته أو افعاله (وكل ما) أى الشىء الذى (يخطر فى الضمائر) القلوب التى هى محلات الضمائر .

(وأفضل) أعظم وأشرف (الصلاة) ثنى المصنف على سيدنا محمد ﷺ اقتداء بقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بذكر الله ثم بالصلاة على فهو أقطع أكتع (١) والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم ومن الملائكة الاستغفار ومن الآدميين الدعاء والتضرع (والسلام) التحية المقرونة بالتعظيم (لمن) الذى (حوى) جمع (جوامع الكلام) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلام (٢)

(وافهم الحق) الصواب (ذوى الأذهان) أصحاب العقول (وأفحم) أعجز وأسكت (الخصوم) المخاصم له من الكفار (بالبرهان) بالدليل القاطع .

(وحض) حث وأمر (كل الناس) أمرا جازما (أن يقولوا شهادة) يعترفون لله بالوحدانية ولرسله عليهم الصلاة والسلام بالرسالة (تزكو) تنمو وتزيد (بها العقول) الأسرار التى خلقها الله فى القلوب والعقل من أعظم نعم الله على عبيده ومحله القلب عند العلماء وله شعاع متصل بالرأس وخالفهم الحكماء فقالوا محله الرأس .

---

(١) لفظ الحديث «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة» رواه الرهاوى فى الأربعين البلدانية واستغربه وضعفه (٢) هذا بعض حديث صحيح

فَمَنْ أَجَابَ نَالَ خَيْرًا جَذَّلَهُ ‌ ‌ ‌ ‌ وَمَنْ أَبَى أَذَلَّهُ وَجَدَّلَهُ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا الْحَقُّ اعْتَلَى ‌ ‌ ‌ ‌ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَلَا
وَبَعْدُ فَالْعُلُومُ ذَاتُ كَثْرَةْ ‌ ‌ ‌ ‌ وَبَعْضُهَا لَهُ مَزِيدُ الْأَثْرَةْ
وَنُوِّعَتْ إِلَى اعْتِقَادٍ وَعَمَلْ ‌ ‌ ‌ ‌ وَالْأَوَّلُ الْكَلَامُ مُسْتَدْنِي الْأَمَلْ
وَكُلُّ عِلْمٍ لِلْمَزِيَّةِ اكْتَسَبْ ‌ ‌ ‌ ‌ فَالْفَضْلُ مِنْ مَعْلُومِهِ لَهُ انْتَسَبْ

(فمن أجاب) الرسل عليهم الصلاة والسلام (نال خيرا) أدرك سعادة الدارين (جذله) ثبت لمن أجابهم الخير (ومن أبى أذله) ومن امتنع عن اجابة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى ما دعوه اليه من توحيد الله والتصديق برسله أذله الله (وجدله) طرحه الله على الجدالة وهى الأرض مهانا .

(صلى الله عليه) الصلاة من الله هى الرحمة المقرونة بالتعظيم (ما الحق اعتلى) مدة اعتلاء الحق على الباطل (وآله) قرابته (وصحبه) وهم من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته وآمن به ومات على ذلك (ومن تلا) والذى تبعه إلى قيام الساعة .

(وبعد) يستحب الاتيان بها فى ابتداء الخطب والكتب ويؤتى بها للانتقال من نوع من الكلام إلى نوع آخر (فالعلوم ذات كثرة) العلوم المدونة صاحبة كثرة (وبعضها له مزيد الأثرة) وبعض العلوم يستحق أن يؤثر فى الاشتغال به والعلوم منها ماهو نافع كعلم الشرع ومنها ماهو ضار كعلم السحر ومنها ما لا ينفع ولا يضر كمعرفة الإنسان .

(ونوعت إلى اعتقاد وعمل) قسمت إلى قسمين أحدهما متعلق بالمعتقد وهو علم التوحيد والآخر متعلق بالعمل كعلم الفقه (والأول) المتعلق بالاعتقاد (الكلام) علم الكلام وقيل ان سبب اشتهاره بهذا الاسم كثرة الكلام مع أهل الزيغ فيه والرد عليهم (مستدنى) مقرب (الأمل) الرجاء بسعادة الدارين .

(وكل علم للمزية اكتسب) نال شرفا (فالفضل من معلومه له انتسب) فشرفه اكتسبه من شرف معلومه .

وَعِلْمُ أَصلِ الدِّينِ مَشهُورُ الشَّرَفْ ... وَخَيرُهُ الْمَنثُورُ مَا لَهُ طَرَفْ

وَكَيفَ لَا وَهوَ مُفِيدٌ لِلوَرَى ... عِلْماً بِمَنْ أَنشَأَهُمْ وَصَوَّرَا

وَحُكْمُهُ عَلَى الْبَرَايَا انْحَتَمَا ... وَبِالنَّجَاةِ فَازَ مَنْ لَهُ انْتَمَى

لِأَنَّهُ بِنُورِهِ يُنْقِذُ مِنْ ... ظُلْمَةِ تَقْلِيدٍ فَنَفْعُهُ ضُمِنْ

وَكَمْ بِهِ لِعُلَمَاءِ الْمِلَّةِ ... مِنْ كُتُبٍ بِالْقَصْدِ مُسْتَقِلَّةِ

مَا بَيْنَ مَنْثُورٍ وَنَظْمٍ يُهْتَصَرْ ... جَنَاهُ مِنْ مُطَوَّلٍ وَمُخْتَصَرْ

وَإِنَّنِي مِلْتُ إِلَى اتِّبَاعِ ... لَهُمْ وَإِنْ كُنْتُ قَصِيرَ الْبَاعِ

(وعلم أصل الدين مشهور الشرف) وهو علم التوحيد فشرفه لايخفى على ذى بصيرة (وخيره المنثور ماله طرف) ثمرته المتفرقة مالها حد .

(وكيف لا) يكون خيره لاطرف له (وهو) أى علم أصل الدين (مفيد للورى) للخلق (علماً) إدراكا مطابقا للواقع (بمن أنشأهم وصورا) بمعرفة الله الذى خلقهم من العدم إلى الوجود وصورهم فى الأرحام .

(وحكمه) معرفة أصول الدين (على البرايا) الخلائق (انحتما) وجب فمعرفته فرض عين على كل مكلف مكن من النظر (وبالنجاة) وبالسلامة من النار (فاز) نال مطلوبه (من) الذى (له انتمى) انتسب بأن صار من أهله .

(لأنه بنوره ينقذ) بنور معرفة أصول الدين يخلص (من ظلمة تقليد) فى الاعتقاد (فنفعه) وهو علم أصول الدين (ضمن) حقق .

(وكم به) فى بيان تحقيقه (لعلماء الملة) الاسلامية (من كتب) ما بين منظوم ومنثور (بالقصد مستقلة) لم تتكلم إلا عليه .

(ما بين منثور ونظم يهتصر) يدلى (جناه) ثمره وفى القاموس اهتصر النخلة ذلل عذوقها (من مطول) وهو كثرة اللفظ والمعنى (ومختصر) وهو قلة اللفظ وكثرة المعنى .

(وإنى ملت إلى اتباع لهم) للعلماء فى تأليف كتاب فى علم أصول الدين (وإن كنت قصير الباع) أى قليل العلم وهذا من المصنف تواضع والحقيقه أنه عالم فى كل فن .

فَجِئْتُ فِي ذَا الْمَطْلَبِ الْوَحِيدِ ... بِنُبْذَةٍ تَنْفَعُ فِي التَّوْحِيدِ
سَمَّيْتُهَا إِضَاءَةَ الدُّجُنَّهْ ... لِكَوْنِهَا اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّهْ
وَذَاكَ لَمَّا أَنْ حَلَلْتُ الْقَاهِرَهْ ... بَعْدَ الْوُصُولِ لِلْبِقَاعِ الطَّاهِرَهْ
مُنْتَبِذًا عَنْ مَظْهَرِي الْمَغْمُورِ ... مُسْتَرْشِدًا بِالْأَزْهَرِ الْمَعْمُورِ
وَكَانَ مِنْ مَنِّ مُزَكِّي النِّيَّهْ ... دَرْسِي بِهِ الْعَقَائِدَ السُّنِّيَّهْ
فَرَامَ مِنِّي بَعْضُ أَهْلِ الْفَنِّ ... نَظْمِي لَهَا بِحُكْمِ حُسْنِ الظَّنِّ
وَلَسْتُ لِلَّذِي انْتَحَى بِأَهْلِ ... لِأَنَّنِي ذُو خَطَإٍ وَجَهْلِ

(فجئت في ذا المطلب الوحيد).

ألفت في هذا المطلب وهو علم أصول الدين (بنبذة) جملة قليلة (تنفع في التوحيد) تمكن من تعلمها وتخرجه من ربقة التقليد في علم أصول الدين.

(سميتها إضاءة الدجنة) الإضاءة شدة الإنارة والدجنة شدة الظلام (لكونها اعتقاد أهل السنة) مبينة معتقد أهل طريقة سيدنا محمد ﷺ.

(وذاك لما أن حللت القاهرة) وهي قرية من قرى مصر(1) (بعد الوصول للبقاع الطاهره) يعني الحرمين الشريفين مكة والمدينة.

(منتبذا) متباعدا (عن مظهري) محل ظهوري وولادتي (المغمور) المملوء بالناس والخيرات(2) (مسترشدا) طالبا الاهتداء (بالأزهر) وهو جامع بمصر وأول من بناه جوهر القائد سنة إحدى وستين وثلاثمائة (المعمور) بطلبة العلم ولا سيما في أيامنا هذه.

(وكان من من) إنعام (مزكي) مطهر (النية) وهو الله (درسي به) بالجامع المذكور «العقائد السنية» المنسوبة لأهل السنة.

(فرام مني) طلب (بعض أهل الفن) أي علم أصول الدين (نظمي لها) العقائد (بحكم حسن الظن) بظنه الحسن في.

(ولست للذي انتحى) قصد (بأهل) بمستحق (لأني ذو خطأ) صاحب خطأ (وجهل) والجهل هو عدم العلم بالمقصود.

---

(1) بل هي عاصمة القطر المصري منذ بناها الفاطميون وأكبر مدنه.

(2) بل الأقرب لغرض المصنف أن المغمور الخامل.

فَازْدَادَ حَثُّهُ عَلَيَّ وَنَمَا — وَقَالَ لِي اجْعَلْ مِثْلَ هَذَا مَغْنَمَا
فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الإِسْعَافِ — مَعَ كَوْنِ رَسْمِ الْعِلْمِ غَيْرَ عَافِ
وَاللهَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَاكَ مِنْ — فِعْلٍ جَمِيلٍ مِنْ رِيَاءٍ قَدْ أَمِنْ
وَأَنْ يُثِيبَنِي بِهِ يَوْمَ الْجَزَا — وَمَنْ وَعَى أَوْ خَطَّ هَذَا الرَّجَزَا
وَيُجْزِلَ الْمَوَاهِبَ السَّنِيَّةْ — وَيُسْعِفَ الرَّاجِينَ بِالأُمْنِيَّةْ
فَالْغَيْثُ مِنْ إِنْعَامِهِ قَدْ وَكَفَا — عَلَى الْبَرَايَا وَهُوَ حَسْبِي وَكَفَى
مَنْ رَامَ فَنًّا فَلْيُقَدِّمْ أَوَّلَا — عِلْمًا بِحَدِّهِ وَمَوْضُوعٍ تَلَا

(فازداد حثه) حضه (على ونما) كثر (وقال لى اجعل مثل هذا مغنما) غنيمة

(فلم أجد بدآ) مخلصا (من الإسعاف) من إجابته (مع كون رسم العلم) أى كتب العلم الذى طلب منى نظمه (غير عاف) معدوم بل موجود بكثرة .

(والله ارجو) لا سواه والرجاء تعلق القلب بمرغوب فى حصوله مع الاخذ فى السبب كأن يطيع الله ويرجو رحمته وإلا فهو طمع كأن ينهمك فى المعاصى ويطلب الرحمة (أن يكون ذاك) يعنى نظمى هذا (ومن فعل جميل) حسن (من رياء) وهو فعل الطاعة لأجل الناس وهو مذموم حفظنا الله منه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه إنه على كل شىء قدير وبالاجابة جدير (قد أمن) سلم

(وأن يثيبنى به يوم الجزا) على الأعمال وهو يوم القيامة (ومن وعى) حفظ (أو خط) كتب (هذا الرجزا) المنظوم فى بحر الرجز .

(ويجزل) يعظم (المواهب) العطايا (السنية) العظيمة (ويسعف) يرحم (الراجين) إحسانه (بالأمنية) بحصول ما تمنوه .

(فالغيث) المطر (من انعامه قد وكفا) نزل (على البرايا) الخلائق (وهو حسبى) كافينى (وكفى) به حسيبا وكافيا .

(من رام) قصد (فنا) نوعا من العلم (فليقدم أولا) قبل الشروع فى الفن الذى رامه (علما) معرفة (بحده) بتعريف حد الفن الذى رامه وحد هذا الفن العلم بأحكام الالوهية وإرسال الرسل وصدقهم فى جميع اخبارهم .

(وموضوع) وعلما بموضوع الفن الذى رامه ليتميز عن غيره وموضوع هذا الفن ماهيات الممكنات من حيث دلالتها على وجود خالقها وصفاته وأفعاله وقيل مطلق الوجود قديما كان أو حادثا وقيل ذات الله من حيث اثبات الصفات الكمالية والتنزيهية وقيل المعلومات موجودة او معدومة (تلا) تبع .

وَوَاضِعٍ وَنِسْبَةٍ وَمَا اسْتَمَدْ ... مِنْهُ وَفَضْلِهِ وَحُكْمٍ يُعْتَمَدْ

اسْمٍ وَمَا أَفَادَ وَالْمَسَائِلْ ... فَتِلْكَ عَشْرٌ لِلْمُنَى وَسَائِلْ

وَبَعْضُهُمْ مِنْهَا عَلَى الْبَعْضِ اقْتَصَرْ ... وَمَنْ يَكُنْ يَدْرِي جَمِيعَهَا انْتَصَرْ

فصل فى الحكم وأقسامه

فَالْحُكْمُ وَهُوَ النَّفْيُ وَالْاِثْبَاتُ ... إِلَى ثَلَاثٍ قَسَّمَ الْأَثْبَاتُ

(وواضع) والذى وضع الفن وواضع هذا هو الله وقد أنزل به كتبه على رسله (ونسبة) وعلما بنسبة الفن الذى رامه دون سائر الفنون وأما نسبة هذا الفن لسائر الفنون فهو أصلها (وما استمد منه) وعلما بالشىء الذى استمد واضع الفن منه وأما استمداد هذا الفن فن البراهين اليقينية والقواطع النقلية (وفضله) وعلما بشرف الفن الذى رامه وأما فضل هذا الفن فهو أشرف العلوم الشرعية (وحكم يعتمد) وعلما بحكمه وحكم هذا الفن الوجوب العينى .

(واسم) وعلما باسم الفن الذى رامه وأما اسم هذا الفن فعلم أصول الدين وعلم التوحيد والعقائد وعلم الكلام (وما أفاد) وعلما بفائدته وأما فائدة هذا الفن فمعرفة الله ومعرفة رسله وملائكته (والمسائل) وعلما بمسائل الفن الذى رامه وأما مسائل هذا الفن فهى القضايا المبرهن عليها بالبراهين اليقينية (فتلك) المذكورات (للمنى) لرائم الفن (وسائل) إذا تعلمها الرائم للفن يكون على بصيرة .

(وبعضهم) أى العلماء (منها) أى العشر (على البعض اقتصر) وهو الحد والموضوع والفائدة (ومن يكن يدرى جميعها انتصر) والذى يعرف جميعها فاق من اقتصر على البعض .

فصل فى الحكم وأقسامه

(فالحكم وهو النفى) يعنى حقيقته نفى لشىء عن شىء نحو الله لا شريك له (والاثبات) اثبات شىء لشىء نحو الله موجود (إلى ثلاث) من الأقسام (قسم الاثبات) العلماء الثقات العدول .

عَقْلِيٌّ أَوْ عَادِيٌّ أَوْ شَرْعِيٌّ ‏ وَهَا هُنَا أَوَّلُهَا الْمَرْعِيُّ
وَاعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّ حُكْمَ الْعَقْلِ لاَ ‏ يَعْدُوا ثَلاثاً حَصْرُهَا قَدْ عُلِّلاَ
إِيجَابٌ أَوْ تَجْوِيزٌ أَوْ إِحَالَهْ ‏ فَوَاجِبٌ لاَ يَنْتَفِي بِحَالَهْ

(عقلى) منسوب للعقل لأنه بالعقل يدرك لا بالشرع ولا بالعادة (أوعادى) منسوب للعادة لاستناده اليها وهو ماعرف بالتجربة والتكرار كقولنا فى الإثبات الطعام يشبع وفى النفى الخبز الفطير ليس بسريع الانهضام وسمى الحكم العادى لأنه أدرك بالعادة والتجربة لا بالعقل ولابالشرع (أو شرعى) منسوب للشرع لاستناده له وحصوله به كقولنا فى الإثبات الصلوات الخمس واجبة وفى النفى صـــلاة العيد ليست بواجبة وسمى الحكم الشرعى لأنه يدرك بطريق الشرع لا بالعقل ولا بالعادة (وهاهنا أولها المرعى) والمقصود هنا أولها وهو العقل .

(واعلم هديت) هداك ربك لما يحبه ويرضاه (أن حكم العقل) الحكم هو اثبات أمر لأمر أونفى أمر عن أمر فثال الاثبات قولنا العالم حادث ومثال النفى قولنا الله ليس بحادث فقد أثبتنا فى المثال الأول أمرا وهو الحدوث لأمر وهو العالم والحدوث الوجود بعد العدم والعالم بفتح اللام فى اصطلاح المتكلمين هو كل ما سوى الله من الحوادث سمى بذلك لأن كل حادث فيه علامة تميزه عن موجده المولى القديم حتى لا يلتبس به أصلا ، ونفينا فى المثال الثانى أمراً وهو الحدوث عن أمر وهو الله ثم الحاكم باثبات أمر لأمر ونفى أمر عن أمر إنمـــا يستند فى حكمه إلى العقل كالمثالين المتقدمين إذ بالعقل يحكم عـــلى العالم بكونه حادثا وعلى الله تعالى بأنه ليس بحادث ويسمى الحكم العقلى نسبة إلى العقل لأنه بالعقل يدرك لا بالشرع ولا بالعادة (لا يعدو) يتجاوز (ثلاثا حصرها قد عللا) علله الأئمة بأنه إثبات لا يقبل النفى أو نفى لا يقبل الاثبات أو قابل للنفى والاثبات فثال الاثبات قولنا العالم حادث ومثال النفى قولنا الله ليس بحادث ومثال القابل للنفى والاثبات اتصاف الجرم بالحركة أو السكون .

(إيجاب أو تجويز أو احالة) فهى ثلاثة أقسام عرفها بقوله (فواجب لا ينتفى بحاله) حقيقة الواجب العقلى أن العقل لا يصدق بنفيه بأى حال من الأحوال .

أَىْ كُلُّ أَمْرٍ نَفْيهُ لا يُدْرَكُ   عَقْلًا وَسِرُّ بَدْئِهِ لاَ يُتْرَكُ
بِكَوْنِهِ يُوصَفُ ذُو الْمِحَالِ   بِهِ وَعَكْسُهُ أُدْعُ بِالْمُحَالِ
وَجَائِزٌ مَا صَحَّ فِى الْعَقْلِ انْتِفَا   فِيهِ لَدَى حُكْمِىْ ثُبُوتٍ وَانتِفَا
وَمَا دَعَوْا مِنْهَا ضَرُورِيًّا جَلِى   وَالنَّظَرِىُّ بَعْدَ فِكْرٍ يَنْجَلِى

(أى كل أمر نفيه لا يدرك عقلا) كل شىء لا يتصور العقل انتفاءه فهو الواجب (وسر بدئه) والحكمة فى تقديم الواجب على المستحيل والجائز لاتخفى ثم صرح بسر ابتدائه به فقال :

(لكونه) أى الواجب (يوصف ذو المحال به) أى يوصف الله صاحب المحال وهو العذاب لمن اراد عذابه بعدله (به وعكسه) أى الواجب وهو مالا يصدق العقل ثبوته (ادع بالمحال) سم بالمحال .

وحقيقة الجائز هو ما قبل الأمرين النفى والثبوت عند الحكم عليه .

(وما دعوا منها ضروريا جلى) وماسموه من الواجب والمستحيل والجائز ضروريا فهو الجلى الظاهر الذى لا يحتاج الى تأمل فمثال الواجب الضرورى التحيز للجرم وهو أخذه قدر ذاته من الفراغ فإن ثبوت هذا المعنى للجرم ضرورى) لايفتقر إلى تأمل ومثال المستحيل الضرورى تعرى الجسم من الحركة والسكون معا بحيث لايوجد فيه واحد منهما فإن العقل ابتداء لا يتصور ثبوت هذا المعنى للجرم ومثال الجائز الضرورى اتصاف الجرم بخصوص الحركة فإن العقل ابتداء يدرك صحة وجودها للجرم وصحة عدمها له (والنظرى) منها (بعد فكر) تأمل (ينجلى) يتضح فمثال الواجب النظرى ثبوت القدم لله فان العقل لا يدركه إلا بعد النظر والتأمل فيما يترتب على نفيه من المستحيلات كالدور والتسلسل ونحوهما ومثال المستحيل النظرى كون الذات العلية جرما تعالى الله عن ذلك فان استحالة هذا المعنى عليه تعالى إنما يدركه العقل بعد النظر فيما يترتب على ذلك من أوجه الاستحالة ومثال الجائز النظرى تعذيب المطيع الذى لم يعص الله فإن العقل قد ينكر ابتداء جواز هذا وأما بعد النظر فإن الأفعال كلها بالنسبة لله سواء لا نفع له فى طاعة ولاضرر يلحقه فى معصية .

فَلْتَعْرِفِ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالَا ... وَجَائِزًا فِى حَقِّهِ تَعَالَى

فَعِلْمُهَا فَرْضٌ عَلَيْنَا شَرْعَا ... وَمِثْلُهَا فِى حَقِّ رُسْلٍ تُرْعَى

فصل فى أول واجب

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ ... إِعْمَالُهُ لِلنَّظَرِ الْمُؤَلَّفِ

كَىْ يَسْتَفِيدَ مِنْ هُدَى الدَّلِيلِ ... مَعْرِفَةَ الْمُصَوِّرِ الْجَلِيلِ

وَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ لَمَّا سَلِمْ ... مِنْ وَرْطَةِ الْجَهْلِ وَلِلْحَقِّ عَلِمْ

(فلتعرف الواجب) عقلا (والمحالا) عقلا (وجائزا) عقلا (فى حقه) أى الله (تعالى) تنزه عن كل مالا يليق به .

(فعلمها فرض علينا شرعا) فمعرفة الواجب والمستحيل والجائز فى حق الله فرض عين علينا شرعا (ومثلها فى حق رسل) وكما تجب معرفة الواجب والمستحيل والجائز فى حق الله تجب معرفتها فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام (ترعى) فتحترم الرسل عليهم الصلاة والسلام .

﴿ فصل فى أول واجب ﴾

(أول واجب على) الشخص (المكلف) الذى ألزم بالتكاليف الشرعية (إعماله) أى المكلف عقله (للنظر) الصحيح بالدليل (المؤلف) المركب من مقدمتين يقينيتين كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث فالعالم متغير هى المقدمة الأولى وتسمى قضية صغرى وكل متغير حادث هى المقدمة الثانية وتسمى قضية كبرى .

(كى يستفيد) الشخص (من هدى الدليل) من معرفة الدليل (معرفة المصور) الخالق (الجليل) العظيم .

(وتطمئن) تسكن (نفسه) أى الشخص (لما سلم) حين سلم (من ورطة) خلة (الجهل وللحق علم) الشخص .

فَإِنْ يَكُنْ قَبْلَ الْبُلُوغِ حَصَّلَا ... ذَاكَ وَلِلْمَطْلُوبِ قَدْ تَوَصَّلَا
فَلْيَشْتَغِلْ بَعْدَ الْبُلُوغِ بِالْأَهَمّْ ... ثُمَّ الْأَهَمّ فَاتِحًا لِمَا انْبَهَمْ
وَفِي الْمُقَلِّدِ خِلَافٌ مُسْتَطَرْ ... لِأَنَّهُ إِيمَانُهُ عَلَى خَطَرْ
وَهُوَ مُعَرَّضٌ لِشَكٍّ يَطْرُقُ ... وَفِيهِ لِلْأَشْيَاخِ تُنْمَى طُرُقُ

(فان يكن) الشخص (قبل البلوغ حصلا) علم (ذاك) أى الواجب والمستحيل والجائز فى حق الله وفى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام (والمطلوب) وهو علم ما تقدم (قد توصلا) أى الشخص .

(فليشتغل) المكلف بعد البلوغ وجوباً (بالأهم) من العلوم (ثم الأهم) الذى يلى الأول فى الأهمية (فاتحاً) موضحاً (لما انبهم) للذى خفى .

(وفى المقلد) وهو المعتقد ماسمعه من العقائد من مقلده بدون معرفة الدليل اعتقادا جازماً مطابقاً للواقع فخرج بالجزم من كان إيمانه على ظن أوشك أو وهم فإيمانه باطل باجماع وخرج بوصفه بالمطابق الجزم غير المطابق للواقع ويسمى الاعتقاد الفاسد والجهل المركب كاعتقاد الكفار التجسيم أوالتثليث أو نحو ذلك فمعتقد ذلك كافر باجماع (خلاف) بين الأئمة وفى المقلد وهو المتبع قول الغير من غير استناد إلى دليل فى العقائد الدينية ثلاثة أقوال الاول أنه مؤمن غير عاص بترك النظر والثانى أنه مؤمن ولكنه عاص، بترك النظر مع القدرة عليه والثالث أنه كافر وهذا القول باطل لأنه يلزم عليه أن أغلب العامة من المسلمين كفار (مستطر) مكتوب فى كتب العلماء. (وأنه)أى المقلد والتقليد هو الجزم المطابق لا عن دليل وهو الذى حصل بمحض التقليد واتباع قول الغير من غير استناد إلى دليل فالذى عليه الجمهور والمحققون من أهل السنة.

أنه لا يصح الاكتفاء به فى العقائد (١) بل تجب معرفة الدليل إن كان له قدرة على النظر (إيمانه) تصديقه بالعقائد على جهة التقليد (على خطر) غرر .

(وهو) أى المقلد (معرض) قابل (لشك) فى العقائد (يطرق) يحدث (وفيه) فى إيمان المقلد (للأشياخ) للعلماء (وتنمى) تنسب (طرق) أقوال

---

(١) بل التحقيق أنه يكفى كما فى جمع الجوامع ولم يأت دليل عن الله ولا رسوله بوجوب معرفة الدلائل المبسوطة فى كتب التوحيد.

وذو احتِيَاطٍ فى أُمُورِ الدِّينِ ... مَنْ فَرَّ مِنْ شَكٍّ إِلَى يَقِينِ

وَمَنْ لَهُ عَقْلٌ أَبَى عَنْ شِرْبِ مَا ... لَمْ يَصْفُ مُذْ أَلْفَى زُلَالاً شَبِمَا

فَبَانَ أَنَّ النَّظَرَ الْمُوَصِّلاَ ... أَوَّلُ وَاجِبٍ كَمَا قَدْ أُصِّلاَ

أحدها انه كافر وهو مبنى على أن النظر واجب وجوب الأصول بمعنى أن تاركه كافر وشنع على القائل به ونفى عنه إذ يلزم على قوله تكفير العوام وهم غالب المؤمنين وعلى صحة نقله لايلزم التشنيع لأن المعتبر فى حق العوام . هو الدليل الإجمالى وهو مايفيدهم العلم اليقينى وإن لم يكن على طريقة المتكلمين القول الثانى مؤمن عاص وهو مبنى على أن النظر واجب وجوب الفروع القول الثالث أنه مؤمن عاص إن كانت فيه أهلية للنظر وإلا فلا والحاصل أن المقلد إذا جزم بصحة العقائد التى سمعها من مقلده وهى مطابقة للواقع جزما قويا بحيث لو رجع مقلده لم يرجع فهو مؤمن وإن كان جازما جزما ضعيفا بحيث لو رجع مقلده رجع فهو كافر والخلاف المذكور فى الجازم وأما الظان والشاك فكافر باتفاق واعلم بأن بعد النظر ومعرفة الدليل التفصيلى يحرم الخوض والتعمق فى علم الكلام ذهب إلى ذلك مالك والشافعى وأحمد وغيرهم لأنه لم يكن من شأن السلف ويعين المبتدعة بفرض الشبه ويثير شكوكا فى القلوب السليمة ويوجب الكلام فى الربوبية والنبوة لا على وجه التعظيم والاحترام واعلم بان الخلاف فى المقلد فى كفره وعدمه بالنسبة لنجاته فى الآخرة وعدمها وأما فى الدنيا فلا قائل بأن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله كافر أو بأنه يعامل معاملة الكفار بل هو مسلم يعامل معاملة المسلمين اتفاقا .

(وذو) صاحب (احتياط) احتراز (فى أمور) شؤن (الدين) الشرع الذى يتدين به المكلف لله (من) الذى (فر) هرب (من شك) تردد وهو التقليد فى الاعتقاد (إلى يقين) متيقن بالنظر والمعرفة .

ومن الذى (له عقل) كامل (أبى) امتنع (عن شرب ما لم يصف) يخلص مما يكدره (مذ) مدة (الفى) وجد (زلالا) ماء صافيا (شبما) باردا .

(فبان) ظهر (أن النظر) التأمل والاستدلال على وجود الله وصفاته (الموصلا) إلى معرفة الله وصفاته (اول واجب) على المكلف (كما) كالقول الذى (أصلا) تقدم فى قوله أول واجب على المكلف إعماله للنظر المؤلف .

وَقَدْ عَزَوْا ذَا لِلإِمَامِ الأَشْعَرِى ... وَهُوَ عَنِ الإِشْكَالِ وَالضَّعْفِ عَرِى

وَقِيلَ بَلْ قَصْدٌ إِلَيْهِ أَوَّلُ ... فَرْضٌ وَفِرْقَةٌ عَلَيْهِ عَوَّلُوا

وَقِيلَ بَلْ مَعْرِفَةُ الخَلاَّقِ ... أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الإِطْلاَقِ

وَغَيْرُ وَاحِدٍ نَمَاهُ أَيْضًا ... لِلأَشْعَرِى المُسْتَمَدِّ فَيْضًا

وَلَيْسَ ذَا مُخَالِفاً مَا قَبْلَهُ ... إِذْ هِىَ قَصْدٌ وَسِوَاهَا وُصْلَهْ

(وقد عزوا) نسب علماء التوحيد (ذا) القول بان أول واجب على المكلف النظر الموصل إلى معرفة الله وصفاته (للامام) أبى الحسن بن على (الأشعرى وهو) أى القول بان اول واجب النظر (عن الاشكال) الخفاء (والضعف عرى) وخال عن الضعف والاعتراض .

(وقيل بل) بان أول واجب (قصد إليه أول) وهو توجيه القلب إليه وقطع الشواغل التى تشغل عنه ومن أعظمها الكبر والحسد والعجب (فرض) على المكلف (وفرقة) جماعة من العلماء (عليه) على القول بان أول واجب القصد (عولوا) اعتمدوا .

(وقيل بل معرفة) الله (الخلاق) الخالق لكل حادث (أول واجب) على المكلف (على الاطلاق) عن التقييد فهى أول واجب .

(وغير واحد) من العلماء (نماه) نسب القول بان أول واجب معرفة الله (أيضاً للاشعرى المستمد) من الله (فيضا) عطاء كثيراً .

(وليس ذا) أى القول بان أول واجب معرفة الله (مخالفا ما) الذى ذكر (قبله) وهما القولان المتقدمان القول بان أول واجب النظر والثانى القول بانه القصد إليه (إذ هى) أى المعرفة (قصد) هى المقصودة بذاتها (وسواها) أى المعرفة وهو النظر على القول الأول والقصد إليه على القول الثانى (وصله) موصل لها فالقول بانه النظر باعتبار كونه وسيلة قريبة للمعرفة والقول بانه القصد إليه باعتبار كونه وسيلة بعيدة لها والقول بانه المعرفة باعتبار كونها مقصودة لذاتها فليس الخلاف حقيقيا .

فصل فى الحث على النظر

وَجاءَ فِى الْقُرْآنِ وَالأَخْبارِ حَثٌّ عَلَى الْفِكْرِ وَالاِعْتِبارِ
وَهُوَ عَلَى وُجُوبِهِ قَدْ دَلَّ مَعَ كَوْنِهِ بِالْقَصْدِ مَا اسْتَقَلَّا
فَاقْرَأْ وَفِى أَنْفُسِكُمْ مَع أَفَلا تَظْفَرْ بِرُشْدٍ نُورُهُ مَا أَفَلا
وَاسْتَجْلِ مَعْنَى مَن لِنَفْسِهِ عَرَفْ تَلْحَقْ بِمَنْ مِنْ نَهرِ عِرْفَانٍ غَرَفْ[1]
وَمَنْ يُقَدِّمْ نَفْسَهُ عِنْدَ النَّظَرْ مُؤَلِّفاً مِنَ الْقَضَايَا مَا حَضَرْ

﴿ فصل فى الحث على النظر ﴾

(وجاء فى القرآن) العظيم (والأخبار) الأحاديث (حث) حض (على الفكر) التفكر والتأمل فيما يوصل إلى معرفة الله (والاعتبار) وهو طلب الملاحظة .

(وهو) الحث على الفكر (على وجوبه) أى الفكر (قد دلا) أى الحث (مع كونه) أى الفكر (بالقصد ما استقلا) لم يستقل الفكر بقصده لذاته بل لكونه وسيلة للمعرفة .

(فاقرأ وفى أنفسكم مع) قوله تعالى « أفلا » تبصرون (تظفر) تسعد (برشد) هدى وعلم (نوره) أى الرشد (ما أفلا) ما غاب .

(واستجل) افهم (معنى) قول رسول الله ﷺ (من لنفسه[1] عرف) من عرف نفسه بالحدوث والافتقار عرف ربه بالوجود والقدم والقدرة وسائر الصفات (تلحق بمن) بالذى (من نهر) بحر (عرفان غرف) بالذى غرف من بحر المعرفة .

(ومن يقدم نفسه عند النظر) التفكر والاستدلال (مؤلفا) مركبا (من القضايا ما حضر) الذى حضر .

---

(١) أصل الكلام هكذا . من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وليس بحديث بل هو من كلام يحيى بن معاذ الرازى كما قال ابن السمعانى .

يَقِسْ بِشَكْلٍ بَيِّنِ الانْتَاجِ إِذْ خَلْقُهُ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجِ
وَبَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُ شَيْئاً صَارَ شَيْئاً حَوَى الأَسْمَاعَ وَالأَبْصَارَ
وَالحِكْمَةَ الرَّائِقَةَ العِيَانِ وَالفَضْلَ بِالمَنْطِقِ وَالبَيَانِ
وَالعَقْلَ وَالغَوْصَ عَلَى الحَقَائِقْ وَالعِلْمَ بِالأَسْرَارِ وَالدَّقَائِقْ
وَغَيْرَهَا مِنْ أَمْرِهِ الغَرِيبِ وَحَصْرُهُ يُعْيِي قُوَى الأَرِيبِ

(يقس) يستدل على وجود الله وصفاته (بشكل) دليل مؤلف من صغرى وكبرى (بين) ظاهر (الانتاج) هو إخراج النتيجة وهو الشكل الأول أى جعل الحد الوسط محمولا أو تاليا فى الصغرى وموضوعا أو مقدما فى الكبرى ومثاله فى الكبرى أنا حادث وكل حادث فله محدث ينتج أنا لى محدث أما المقدمة الصغرى فقصدها ظاهر إذ لا يشك عاقل فى أنه لم يكن ثم كان وأن شكله وصورته كذلك والمقدمة الكبرى ذهب جماعة إلى أنها ضرورية وذهب جماعة إلى أنها نظرية ثم ذكر المصنف دليل الصغرى فقال (إذ خلقه) أى الإنسان (من نطفة امشاج) أى أخلاط من منى الرجل ومنى المرأة وهو من الرجل ماء أبيض ثخين ومن المرأة أصفر رقيق قال الله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً .

(وبعد أن لم يكن) الانسان (شيئاً) موجودا « صارا » الانسان (شيئاً حوى الاسماع) جمع سمع « والأبصار » جمع بصر .

(و) حوى (الحكمة) العلوم النافعة (الرائقة) الصافية (العيان) الثابتة بالمعاينة والمشاهدة (و) حوى (الفضل) الشرف (بالمنطق والبيان) أى الكلام الفصيح .

(والعقل) وحوى العقل وهو من أعظم نعم الله على العبد ومحله القلب (والغوص على الحقائق) أى شدة التأمل على معرفة الحقائق (و) حوى (العلم بالأسرار) الأمور الخفية (والدقائق) الأمور الغامضة .

(و) حوى (غيرها) أى الشخص (من أمره الغريب) الذى لا مثيل له (وحصره) إحصاؤه (يعيى) يعجز (قوى) قوة (الأريب) كامل العقل .

وَمُسْتَحِيلٌ خَلْقُهُ لِنَفْسِهِ لِعَجْزِهِ عَنْ غَيْرِهَا مِنْ جِنْسِهِ
بَلْ غَيْرُهَا فِي الْخَلْقِ مِنْهَا أَسْهَلُ لأَنَّهُ تَهَافُتٌ لاَ يُجْهَلُ
إِذْ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ مَعاً وَهْوَ تَنَافٍ ظَاهِرٌ لِمَنْ وَعَى
لأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى شَكْلِ الْكُرَهْ وَمَنْعُهُ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ نَذْكُرَهْ
فَإِنْ نَظَرْتَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَمَالَهَا مِنَ الشِّيَاتِ وَالْحُلا
وَسَقْفِهَا الْمَرْفُوعِ مِنْ غَيْرِ عَمَدْ وَالنَّيِّرَاتِ الْمُشْعِرَاتِ بِالأَمَدْ

(ومستحيل) محال (خلقه) أى الانسان (لنفسه لعجزه) أى الانسان (عن غيرها) أى غير نفسه (من جنسه) أى الانسان

(بل غيرها) أى نفسه (فى الخلق) فى خلقه لغيره (منها أسهل) من نفسه لأنه خلقه لنفسه (تهافت) تساقط ظاهر (لا يجهل) لا يجهله إلا من أعمى الله بصيرته .

(إذ فيه) أى خلقه لنفسه (تقديم) لنفسه باعتبار كونها خالقة وهذا محال (وتأخير معا) لنفسه عنها باعتبار كونها مخلوقة وهذا محال (وهو) المذكور من تقديم النفس عليها وتأخيره عنها (تناف ظاهر لمن وعى) للذى عقل .

(لأنه) أى كون النطفة مؤثرة فى الذات بطبعها (يفضى) يستلزم (إلى) كون الانسان على (شكل) هيئة (الكرة) بحيث يكون مدورا من كل جهة متجردا عن الرأس والرقبة واليدين والرجلين لأن الطبيعة المستوية تقتضى شكلا مستويا من كل وجه لوجوب موافقة المطبوع للطبيعة التى أثرت فيه (ومنعه) بطلان كون الانسان على شكل الكرة (أظهر من أن نذكره) لحصوله بالمشاهدة والعيان أنه على غير شكلها وهما أقوى دليل .

(فان نظرت) تفكرت وتأملت (فى) أحوال (السموات العلا) ذات العلو

(ومالها) والذى لها (من الشيات) الحالات (والحلا) أى الزينة .

(وسقفها) أى السموات (المرفوع من غير عمد) بل بقدرة الله (والنيرات) الكواكب (المشعرات) المعلمات (بالأمد) أى الزمن والدالات بسيرها على الأوقات .

وَمَا حَوَتْهُ الأَرْضُ وَالبِحَارُ ... أَبْصَرْتَ مَا فِيهِ النُّهَى تَحَارُ
هَذَا وَمَا قَدْ غَابَ عَنَّا أَكْثَرُ ... مِنَ البَدَائِعِ الَّتِي لاَ تُحْصَرُ
فَهَلْ يَكُونُ الصُّنْعُ دُونَ فَاعِلِ ... أَوْ مَنْعُهُ مِنْ غَيْرِ جَعْلِ جَاعِلِ
كَلاَّ لَقَدْ أَفْصَحَتِ الأَكْوَانُ ... عَنْ فِعْلِ رَبٍّ مَالَهُ أَعْوَانُ
مَنْ أَذْعَنَتْ لِقَهْرِهِ الأَمْلاَكُ[1] ... وَانْتَظَمَتْ عَنْ أَمْرِهِ الأَسْلاَكُ
وَأَشْرَقَتْ مِنْ نُورِهِ الأَحْلاَكُ ... وَسَبَّحَتْ بِحَمْدِهِ الأَمْلاَكُ

(وماحوته) وإن نظرت فى الذى جمعته (الأرض والبحار) من الحيوانات والجبال وسائر المخلوقات (أبصرت) أيها الناظر (ما) أى عجباً (فيه النهى) العقول (تحار) تتحير .

(هذا) الذى ذكرناه (وماقد غاب عنا أكثر) والذى غاب عنا أكثر من الذى علمناه (من البدائع) التى لا مثل لها (التى لاتحصر) أى لا يستطيع حصرها إلا الذى خلقها .

(فهل يكون الصنع) يوجد المصنوع (دون فاعل) بلافاعل يفعله (أو صنعه) أو يكون خلق المصنوع (من غير جعل جاعل) من غير خلق خالق .

(كلا) لا يكون مخلوق بلا خالق (لقد أفصحت) دلت دلالة واضحة (الأكوان) المخلوقات (عن فعل) خلق (رب) خالق (ماله أعوان) ليس له أعوان على خلقها .

(من أذعنت) الذى انقادت وأطاعت (لقهره الأملاك) الملائكة (وانتظمت) تألفت واجتمعت على أحسن وجه (الأسلاك) العقود والمراد جميع المخلوقات

(وأشرقت من نوره) أى الله (الأحلاك) الأماكن الشديدة الظلام (وسبحت بحمده الأملاك) الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

---

(١) كذا : والصواب الافلاك جمع فلك . رداً على الفلاسفة وغيرهم ممن ينسبون للأفلاك قدرة التأثير فى عالمنا الأرضى .

﴿ فصل فى الصفات النفسية والسلبية وما ينافيهما ﴾

أَعْرِفْ مِنَ الصِّفَاتِ مَا الدَّلِيلُ دَلّْ ... عَلَى وُجُوبِهِ لَهُ عَزَّ وَجَلّْ

وَهِيَ الْوُجُودُ وَالْبَقَاءُ وَالْقِدَمْ ... وَانْفِ الْحُدُوثَ وَالْفَنَاءَ وَالْعَدَمْ

أَمَّا الدَّلِيلُ لِوُجُودِ الْحَقِّ ... سُبْحَانَهُ فَهُوَ حُدُوثُ الْخَلْقِ

﴿ فصل فى الصفات النفسية والسلبية وما ينافيهما ﴾

(اعرف) اعلم أيها المكلف (من الصفات) أى الصفات الست الواجبة لله (ما الدليل) البرهان (دل على وجوبه له) لله (عز) انفرد بالكمال والغلبة لكل ما سواه (وجل) عظم واتصف بكل كمال وتنزه عن كل نقص .

(وهى) أى الصفات النفسية والسلبية (الوجود) وهى صفه نفسية قائمة بذاته تعالى والدليل عليها من القرآن قوله عز وجل . قالت رسلهم أفى الله شك يعنى أفى وجود الله شك ؟ لا بل لا يشك فى وجود الله إلا كافر أعمى الله بصيرته والدليل عليها من العقل أن كل صناعة لا بد لها من صانع أفلا يدل هذا الكون على أن له صانعا ولا بد للصانع من أن يكون موجودا (والبقاء) ويجب لله البقاء بحيث لا يلحقه عدم وهو صفة سلبية لأن مدلولهـــا سلب أمر لا يليق بالله (والقدم) ويجب لله القدم فقدمه لم يسبقه عدم وهو صفة سلبية لان مدلولها سلب أمر لا يليق بالله تعالى (وانف) عن الله (الحدوث) وهو الوجود بعد العدم وهو ضد القدم (والفناء) العدم بعد الوجود وهو ضد البقاء (والعدم) وانف العدم عن الله وهو ضد الوجود فالثلاثة الأول واجبة وضدها محال فى حق الله .

(أما الدليل لوجود) أى على وجود الله (الحق) أى الثابت (سبحانه) تنزيها له عن كل ما لا يليق به (فهو) اى الدليل على وجود الله (حدوث) وجود (الخلق) أى مخـــلوقاته بعد أن كانت عدماً فدل حدوثها على وجوب وجود الله .

لِأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ الْبَاطِلِ ... وجُودُ فِعْلٍ مَّا بِدُونِ فَاعِلِ
إِذْ فِيهِ جَمْعُ الْمُتَنَافِيَيْنِ ... فِي وَاحِدٍ مِنْ مُتَسَاوِيَيْنِ
أى كونه مساوى المقابل ... له وراجحاً بغير فاعل
كَالوَقْتِ وَالوُجُودِ مَعْ سِوَاهُ ... فَإِنَّهُ لِذَاتِهِ سَاوَاهُ
فَكَيْفَ صَارَ رَاجِحاً بِلَا سَبَبْ ... وَهَكَذَا كُلُّ مُسَاوٍ فِي الرُّتَبْ
مِنْ جِهَةٍ مَخْصُوصَةٍ أَوْ قَدْرِ ... خُصٌّ أَوْ وَصْفٍ أَوْ مَكَانٍ فَادْرِ

(لأنه من المحال) المستحيل (الباطل) المنتفى الذى لايقبل الثبوت (وجود فعل ما) أى فعل كان (بدون فاعل) بلا فاعل يفعله .

(إذ فيه) أى وجود فعل بلافاعل (جمع المتنافيين) أى المساواة والرجحان (فى واحد من) شيئين (متساويين) وهو محال .

(أى كونه) أحد المتساويين (مساوى المقابل له) أى أحد المتساويين (وراجحاً) وكونه راجحاً (بغير فاعل) وهو محال ثم مثل للمتساويين بقوله

(كالوقت) الخاص مع سواه من الأوقات (والوجود مع سواه) وهو العدم (فانه) أى الوقت الخاص هو والوجود (لذاته) أى الوقت الخاص والوجود (ساواه) أى الوقت سائر الأوقات المقابلة له والوجود العدم المقابل له

(فكيف صار) الوقت الخاص أو الوجود المساوى لمقابله (راجحا) على مقابله (بلاسبب) أى بلا مرجح على مقابله لهفلزم على انتفاء سبب رجحانه على مقابله كونه مساويا له فيلزم عليه ترجيح المرجوح بلا سبب وهذا تناقض محال بالضرورة وملزومه وهو وجود فعل بلافاعل وهو محال فوجب نقيضه وهو كون الفعل لابد له من فاعل فاتضح أن حدوث العالم دليل على وجوب وجود الله (وهكذا) أى المذكور من الوقت والوجود لمساواته لمقابله واستحالة رجحانه عليه بلا سبب لاستلزام التناقض المحال (كل مساو) أى كل شيء مساوى لمقابله (فى الرتب) أى فى الرتبة ثم بين المساوى بقوله .

(من جهة مخصوصة) من الجهات الست كامام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت (أوقدرخص) أى المساوى لسائر المقادير (أو وصف) أى خاص المساوى لسائر الأوصاف (أومكان) خاص المساوى لسائر الأمكنة (فادر) اعلم ماتقدم .

وَفى دَلِيلِ الْقِدَمِ الْمُقَرَّرِ ... وُجُوبُهُ بِالْمَطْلَبِ الْمُحَرَّرِ
تَقُولُ إِنْ رَكَّبتَهُ لَوْ انْتَفَى ... عَنهُ لَكَانَ حَادِثاً بِلاَ خَفَا
وَهُوَ مُؤَدٍّ لاِفْتِقَارِهِ إِلَى ... مُؤَثِّرٍ لِمَا عَرَفْتَ أَوَّلاَ
وتنقل الكلام للمؤثر ... منحصرا أو ما سوى المنحصر
فيلزم الدور أو التسلسل ... وما يؤدّ لهما لا يحصل

(وفى دليل) أى الدليل على وجوب (القدم) لله (المقرر) المثبت (وجوبه) أى القدم لله (بالمطلب) بالدليل (المحرر) المصفى من كل شبهة (تقول إن ركبته) أردت تركيبه على وجه المثال (لو انتفى) القدم (عنه) عن الله (لكان) الله (حادثا) وهو الوجود بعد العدم (بلاخفا) فى لزوم كونه حادثا إذ لا واسطة بين القدم والحدوث

(وهو) كون الله حادثا (مؤد) مستلزم (لافتقاره) أى الله (إلى مؤثر) محدث واستلزام كونه حادثا لكونه مفتقرا إلى محدث (لما) للذى (عرفت أولا) من أنه يلزم من حدوث الحادث بلا محدث اجتماع النقيضين وهو كون الوجود مساوياً للعدم أو مرجوحا له أو راجحا عليه بلا مرجح وهو محال .

(وتنقل الكلام للمؤثر) أى الموجد للاله المفروض حدوثه بأن يقال أنه حادث ومفتقر إلى محدث وهكذا محدثه (منحصراً) حال كون الكلام منحصراً فى عدد كائنين فأكثر أوجد كل منها الآخر (أو ماسوى المنحصر) أو عدد غير منحصر بأن يخلق كل إله ما بعده إلى غير نهاية

(فيلزم) على الانحصار (الدور) وهو توقف الشىء على شىء متوقف على الشىء الاول بأن يكون كل فرد خالقاً ومخلوقاً على الانحصار (أو) يلزم على عدد الحصر (التسلسل) وهو ترتيب أمور غير متناهية بأن يكون كل فرد أوجد الآخر إلى مالا نهاية له والدور والتسلسل محالان (وما يؤد) يوصل (لهما) أى الدور والتسلسل وهو افتقار الله إلى محدث (لا يحصل) لا يصدق العقل بحصوله فهو محال فما أدى إليه وهو كونه تعالى حادثا محال فما أدى إليه وهو عدم وجوب القدم له محال فثبت وجوب القدم له ودليل بطلان الدور استلزامه تقديم الشىء على نفسه وتأخيره عنه وهما محالان ودليل بطلان التسلسل أدلة منها برهان القطع

وَهٰكَذَا يَلْزَمُ فِى نَفْىِ الْبَقَا　　حُدُوثُهُ وَفِيهِ مَا قَدْ سَبَقَا
فَلَا يَكُونُ وَاجِبَ الْوُجُودِ　　عِنْدَ طُرُوِّ الْعَدَمِ الْمَرْدُودِ
إِذْ فِيهِ نَفْىُ الْقِدَمِ الَّذِى مَضَى　　مَعَ أَنَّهُ بِهِ الدَّلِيلُ قَدْ قَضَى
فَبَانَ مِنْ ذَا أَنَّ تَجْوِيزَ الْعَدَمْ　　أَمْرٌ مُنَافٍ دُونَ رَيْبٍ لِلْقِدَمْ
وَأَنَّ كَوْنَهُ قَدِيماً يَلْزَمُ　　مِنْهُ الْبَقَاءُ وَبِهٰذَا يُجْزَمُ
وَكَوْنُهُ مُخَالِفًا لِخَلْقِهِ　　سُبْحَانَهُ مِنْ وَاجِبٍ فِى حَقِّهِ

(وهكذا) أى اللازم على نفى قدمه (يلزم نفى البقا) عن الله (حدوثه) أى الله (وفيه) فى حدوثه (ما) الذى (قد سبقا) وهو الدور أو التسلسل وأنه لو لم يكن واجب البقاء لكان حادثا وكونه حادثا محال لأنه يفضى إلى الدور أو التسلسل وهما محالان وما أدى إليهما فهو محال

(فلا يكون) الله (واجب الوجود) ، أى ينتفى عنه وجوب الوجود (عند) جواز طرو (العدم) ، عليه (المردود) بالادلة

(إذ فيه) فى طرو العدم على الله (نفى القدم) انتفاء القدم عن الله (الذى مضى) ذكر وجوبه لله (مع أنه) أى القدم (به) بالقدم (الدليل قد قضى) حكم الدليل بوجوب القدم لله

(فبان) ظهر (من ذا) الذى قررناه (ان) نفى وجوب البقاء عن الله (تجويز) أى طرو (العدم) على الله (أمر) حكم (مناف دون ريب) شك (للقدم) لوجوب القدم لله

(وان كونه) أى الله (قديما) واجب القدم (يلزم منه) كونه واجب القدم (البقاء) وجوب البقاء لله إذ كل من وجب قدمه وجب بقاؤه واستحال عدمه (وبهذا يجزم) أى بوجوب البقاء لله

(وكونه) أى الله (مخالفا) أى فى ذاته وصفاته وأفعاله (لخلقه) لمخلوقاته (سبحانه) تنزه عن كل نقص (من واجب فى حقه) أى وصفه بأنه مخالف لخلقه فى ذاته فلا تشبه ذاته الذوات وصفاته وافعاله كذلك

لِأَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ الْعَوَالِمْ ... كَانَ حُدُوثُهُ مِنَ اللَّوَازِمْ

لِأَنَّ مِثْلَ الشَّيْءِ دُونَ لَبْسِ ... لَهُ مُسَاوٍ فِي صِفَاتِ النَّفْسِ

وَهِيَ الَّتِي مَوْصُوفُهَا لَا يُعْقَلُ ... بِدُونِهَا كَالنُّطْقِ فِيمَا مَثَّلُوا

وَأَوْجُهُ التَّمَاثُلِ الْمَعْدُودَهْ ... مَنْفِيَّةٌ فِي حَقِّهِ مَرْدُودَهْ

كَكَوْنِهِ جِرْمًا لَهُ التَّحَيُّزْ ... أَوْ عَرَضًا لَهُ بِهِ التَّمَيُّزْ

أَوْ بِارْتِسَامٍ فِي خَيَالٍ يُعْتَبَرْ ... أَوْ بِزَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ كِبَرْ

(لانه) اى الله (لو ماثل) شابه (العوالم) شيئا من مخلوقاته فى ذاته أو صفاته او افعاله (كان حدوثه من اللوازم) .اى الواجبات

(لأن مثل) مماثل (الشيء دون لبس) اى اشتباه (له) اى الشيء (مساوفي صفات النفس) أى الصفات النفسية

(وهى أى الصفات النفسية الصفات) (التى موصوفها لا يعقل) لا يدركه العقل (بدونها) بدون اتصافه بالصفات النفسية (كالنطق) أى الكلام والادراك بالقوة للانسان (فيما مثلوا) فى الذى مثلوا به علماء المنطق للصفات النفسية وبنوا عليه تعريف الانسان بحيوان ناطق .

(واوجه) أقسام (التماثل) بين الشيئين المتماثلين (المعدودة) المحسوبة (منفية فى حقه) فى حق صفات الله (مردودة) بالبراهين القطعية الدالة على استحالتها فى حق الله .

(ككونه) اى الله (جرماً) جسما مركبا أو جوهرا فردا وهو الذى لا يقبل الانقسام « له » أى الجرم « التحيز » أى قدر من الفراغ ومنع غيره الحلول فيه (أو) كون الله (عرضاً له) أى الجرم (به) أى العرض (التميز) الامتياز عن سائر الأجرام .

(أو) كون الله موصوفا (بارتسام) بصورة وهيئة « فى خيال » أى عقل لمخلوق « يعتبر » أى يصح (أو بزمان) أو كونه موصوفا بزمان ماض أو حال او مستقبل (او مكان) او كونه موصوفا بمكان من الامكنة بل هو الذى خلق الزمان والمكان وهو على ما عليه كان قبل الأزمان والامكان (أو كبر) او كونه موصوفا بالكبر .

أَوْ ضِدِّهِ كَمَا يَقُولُ الشَّانِي ... نَعَمْ هُوَ الأَعْلَى الْكَبِيرُ الشَّان
جَلَّ عَنِ الْجِهاتِ وَالأَغْرَاضِ ... فِيمَا يَشَا وَالْوَصْف بِالأَعْرَاضِ
لَيْسَ مِثْلَهُ عَلاَ شَيْءٌ كَمَا ... بِذَاكَ نَقْلٌ وَفْقَ عَقْلٍ حَكَمَا
وَوَاجِبٌ قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ جَلْ ... أَىْ لاَ مُخَصِّصٌ لَهُ وَلاَ مَحَلْ
لِأَنَّهُ ذَاتٌ قَدِيمَةٌ فَلاَ ... تَنْصُتْ إِلَى مَاقَالَه مَن غَفَلاَ

(او ضده) اى الكبر وهو الصغر (كما يقول) الشخص (الشانى) اى الباغض (١) الواصف له بما لا يليق به من صفات الحوادث وهو كونه جرماً تعالى الله عما يقول علواً كبيرا (نعم هو) اى الله (الأعلى) اى الموصوف بالعلو المعنوى والعظمة والكبرياء (الكبير الشان) اى العظيم القدر

(جل) اتصف بالاجلال والتنزه (عن) الاتصاف بكونه بجهة من (الجهات) الست (والاغراض) وتنزه عن كونه متصفاً بغرض من الاغراض (فيما) فى الفعل الذى (يشاء) الله ويختار (و) تنزه عن (الوصف بالاغراض) أى كونه موصوفا بالصفات العارضة الحادثة والعرض هو ما لا يشغل فراغاً بنفسه ووجوده تابع لوجود الجوهر كالحركة والسكون.

(فليس مثله) أى الله (علا) تنزه الله عن كل نقص واتصف بكل كمال (شىء كما بذاك نقل) اى كونه ليس مثله شىء منقول فى القرآن وهو قول الله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (وفق عقل) اى حال كون النقل موفقاً للعقل (حكما) اى النقل بأن الله لا يماثله شىء فى ذاته وصفاته وافعاله.

(وواجب) عقلا (قيامه) اى استغناؤه (بالنفس) اى بذاته القديمة (جل) تنزه واتصف بالجلال والعظمة (أى لامخصص له) أى بذاته القديمة بالوجود عن العدم ولابغيره من الممكنات المتقابلات عن غيره منها (ولا محل) ولا يوصف بأن له محلا.

(لأنه) اى الله (ذات) والذات لاتكون قائمة بموصوف (قديمة) موصوفة بالقدم والقديم لا يفتقر إلى مخصص (فلاتنصت) تستمع (إلى ما) الذى (قال من) أى الشخص الذى (غفلا) عن الحق.

(١) الصواب: المبغض

إِذْ لَوْ إِلَى الْمُخَصِّصِ احْتَاجَ وَجَبْ ... حُدُوثُهُ وَرَدُّ هَذَا مَا احْتَجَبْ
أَوْ قَامَ جَلَّ رَبُّنَا بِالذَّاتِ ... لَكَانَ مَعْدُودًا مِنَ الصِّفَاتِ
وَتِلْكَ لَا تُوصَفُ بِالْمَعَانِي ... وَاللهُ قَدْ حُقِّقَ بِالْبُرْهَانِ
وُجُوبُ وَصْفِهِ بِهَا فَأَنَّى ... يَكُونُ وَصْفًا مَنْ هَدَانَا مَنًّا
وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَقُومَ الْمَعْنَى ... بِمِثْلِهِ فَاحْظَ بِهَذَا الْمَغْنَى
وَلَا تُصِخْ لِمَذْهَبِ النَّصَارَى ... أَوْ مَنْ إِلَى دَعْوَى حُلُولٍ صَارَ

(إذ لو إلى المخصص) احتاج الله (وجب) عقلا (حدوثه) أى الله (ورد هذا) ابطال كون الله حادثا (ما احتجب) لاينخفى على ذى بصيرة لانه يؤدى إلى الدور أو التسلسل المحالين لحدوثه محال واحتياجه إلى مخصص محال .

(أوقام جل) لو اتصف (اللهربنا بالذات) لو كان الله صفة للذات (لكان) الله (معدوداً من الصفات) أى لكان صفة للذات .

(وتلك) أى الصفة (لاتوصف بالمعانى) بصفات المعانى من الحياة والقدرة والارادةوالعلم والكلام والسمع والبصر (واللهقد حقق بالبرهان) ثبت وجوده بالدليل القاطع .

(وجوب وصفه) كون الله متصفاً (بها) بالمعانى فعدم إتصافه بهاأو كونه صفة لها محال (فانى) فكيف يكون (وصفاً) أى الله (من) الذى (هدانا) للايمان (منا) فضلا منه وكرماً لاوجوباً عليه كما يزعمه بعض المبتدعة .

(ويستحيل) عقلا (ان يقوم المعنى) كالحياة (بمثله) بمعنىمثله كالعلم لانه يؤدى إلى الدور أو التسلسل (فاحظ) فز (بهذا المعنى) وهوكون المعنى يستحيل ان يقوم بمثله .

واعلم أن الموجودات أربعة أقسام قسم لايفتقر إلى مخصص ولا إلى محل وهو ذات الله وقسم لا يفتقر إلى مخصص ويقوم بذاته وهو صفات الله وقسم يفتقر إلى مخصص ولايقوم بمحل وهوذوات الحوادث وقسم يفتقر إلى مخصص ويقوم بمحل وهو صفات الحوادث .

(ولا تصخ) لاتستمع (لمذهب النصارى) إلى ما ذهب إليه النصارى من

فَذَاكَ كَالْقَوْلِ بِالاتِّحَادِ ‌ ‌ نِحْلَةُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالأَلْحَادِ
وَمُوهِمُ الْمَحْذُورِ مِنْ كَلامِ ‌ ‌ قَوْمٍ مِنَ الصُّوفِيَةِ الأَعْلامِ
جَرْيًا عَلَى عُرْفِهِمِ الْمَخْصُوصِ ‌ ‌ يَرْجِعُ بِالتَّأْوِيلِ لِلْنُصُوصِ

تركيب الاله من صفتى الحياة والعلم واتحادها بجسد عيسى ﷺ (أو من إلى دعوى حلول صارا) ولا تستمع إلى قول من ذهب إلى أن الله حال فى الأشياء كلها أو بعضها .

(فذاك) المذكور من مذهب النصارى ودعوى الحلول (كالقول بالاتحاد) كون الله متحدا بغيره (نحلة) طريقة (أهل الزيغ) أصحاب الضلال (والالحاد) هو الميل عن الحق إلى الضلال

(وموهم) الكلام الموقع فى الذهن (المحذور) أى المستحيل من الحلول والاتحاد (من كلام قوم من الصوفية الأعلام) من أهل الصوفية الذين هم كالجبال فى الشهرة وهم قوم اشتغلوا بصفاء نفوسهم فاشتهروا بهذا الاسم ولا ينكرهم إلا من جهل طريقهم وأما المتصوفة وهم المتشبهون بهم ولم يسلكوا طريقهم فى الاخلاص والعمل والمراقبة لخواطر القلب ومحاسبة النفس على الأنفاس ووزن الخاطر بالقسطاس فلا عبرة بهم ، بل بمخالفتهم لظواهر الشرع أدى ذلك إلى الطعن فى أهل التصوف فالمتصوفة يخالف أحدهم ظاهر الشرع فان أنكر عليه العالم غضب وقال ان العلماء من عادتهم الانكار على أهل التصوف ويظن من جهله أن الشريعة شىء والتصوف شىء آخر وياللعجب إن أنكر العلماء التصوف فمن الذى يثبته فالعلماء ينكرون على المتصوفة إذا خالفوا ظواهر الشرع وأما أهل الصوفية فهم قوم اشتهروا بشدة التمسك بالشرع وبآدابه حتى عرفهم الخاص والعام اشتهروا بالزهد والورع والتقى والتواضع والاقبال على الله والأعراض عما سواه فهؤلاء هم القدوة المقتدى بهم وهم أهل الحقيقة ولا تزال طائفة منهم موجودة حتى يأتى وعد الله نفعنا الله بهم .

(جريا على عرفهم) اصطلاحهم (المخصوص) بهم (يرجع) كلامهم الموهم للمحذور باعتبار ظاهره (بالتأويل) وهو صرفه عن ظاهره وتفسيره بمعنى صحيح (للنصوص) للمعنى المنصوص عليه فى ظاهر الشرع كقول بعضهم أنا معبودى فانه كلام يوهم الاتحاد والحلول لكنه يؤول بكونه شهد عين الحقيقة ففنى عن وجود نفسه ولم يشهد إلا وجود معبوده .

وَمَا يَفُوهُونَ بِهِ فِى الشَّطْحِ ... فَقِيلَ غَيْرُ مُقْتَضٍ لِلْقَدْحِ
وَهْوَ إِلَى التَّأْوِيلِ ذُو انْتِحَالِ ... وَأَنَّهُمْ قَدْ غُلِبُوا بِالْحَالِ
وَقِيلَ بَلْ يُنَاطُ حُكْمُ الظَّاهِرِ ... بِهِمْ صِيَانَةً لِشَرْعٍ طَاهِرِ
فَلاَ يُقَرُّ ظَاهِرٌ فِى المَيْلِ ... مِنْهُمْ وَذَا أَمْرٌ طَوِيلُ الذَّيْلِ
وَلَيْسَ يُقْتَدَى بِهِمْ فِى ذَلِكْ ... لِكَوْنِهِ مِنْ أَصْعَبِ الْمَسَالِكِ

(وما يفوهون به) يتكلم أعلام الصوفية به (فى الشطح) فى المواجد وغلبة المشاهدة على عقولهم فقداختلف فيه العلماء (فقيل) فقال بعضهم إنه (غير مقتض للقدح) للطعن فيهم لعذرهم بغلبة الحال فصاروا غيرمكلفين .

(وهو) كلام الصوفى الموهم للمحذور (إلى التأويل) وهو صرفه عن ظاهره وتفسيره بمعنى صحيح (ذو انتحال) صاحب انتساب واستحقاق لحفظ الدماء والأعراض (وأنهم) أى الصوفية (قد غلبوا) غابت عقولهم (بالحال) القائم بهم ومشاهدة الحق .

(وقيل) قال بعض العلماء (بل) يربط ويعلق (حكم الظاهر بهم) أى يحكم بظاهر الشرع ولا يؤول كلامهم فمن تكلم منهم بما يوهم الاتحاد والحلول حكم عليه بالكفر والقتل ومن تكلم منهم بما لايكفر به ولكنه ممنوع أدب (صيانة) حفظا (لشرع طاهر) أى لحكم الشرع وسداً للذريعة فلا يترك احد يخالف ظاهر الشرع فمن خالف ظاهر الشرع عوقب على قدر مخالفته ولا سيما أهل الصوفية فان العامة تقتدى بهم فى أقوالهم وأفعالهم وترى مافعلوا حقاوإن خالف ظاهر الشرع فمن خالف منهم ظاهر الشرع أقيم عليه من الحد ما أوجبه الشرع .

(فلا يقر) ، يترك (ظاهرفى الميل) كلام ظاهر فى الميل عن الشرع (منهم) أى الصوفية لا يؤول كلامهم بل يعاملون بظاهر الشرع كغيرهم (وذا) أى الخلاف بين العلماء فى تأويل كلام الصوفية الموهم للمحذور وعدم تأويله (أمر) شىء (طويل الذيل) طويل الشرح .

(وليس يقتدى بهم فى ذلك) لا يجوز الاقتداء بالصوفية فى الكلام الموهم للمحذور (لكونه) أى الكلام الموهم للمحذور (من أصعب المسالك) أى الطرق .

وَالحَزْمُ أَنْ يَسِيرَ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ ... مَعْ رُفْقَةٍ مَأْمُونَةٍ لِيَسْلَمِ

وَيَسْلُكَ المَحَجَّةَ البَيْضَاء ... فَنُورُهَا لِلْمُهْتَدِى اسْتَضَاء

وَفِى بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ يَخْشَى ... سَارٍ ضَلَالاً أَوْ هَلَاكاً يَغْشَى

أَمَّنَنَا اللهُ مِنَ الآفَاتِ ... فِى الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِلَى الْوَفَاةِ

وَوَاجِبٌ وَحْدَةُ ذِى الجَلَالِ ... فِى الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ

(والحزم) الاحتياط (أن يسير) يسافر (من لم يعلم) الذى لا يعلم الطريق (مع رفقة) جماعة (مأمونة) على الدين والنفس والمال (ليسلم) أى المسافر معهم مما يلقاه من المصائب لو يسافر مع رفقة خائنة أو يسافر وحده .

(ويسلك المحجة البيضاء) والحزم أن يسلك المسافر الطريق المعهودة للسلوك المأمونة (فنورها) أى الطريق (للمهتدى استضاء) استنار والمراد هنا طريق النبى ﷺ عن العرباض بن سارية رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لقد تركتكم على مثل المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (١) .

(وفى بنيات الطريق) أى الذى يسافر مع الطرق الصغيرة ويترك الطريق المعتاد السلوك (يخشى) يخاف (سار ضلالا) توهانا مع بنيات الطريق عن الطريق الموصل للمقصود (أو هلاكا يغشى) أى الذى يسافر مع بنيات الطريق ويترك الجادة يخشى هلاكا يغشاه فالمراد بالمحجة البيضاء طريق النبى ﷺ والمراد ببنيات الطريق السبل عن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرأ وان هـــذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (٢) .

(أمننا الله من الآفات) جعلنا الله آمنين من المصائب (فى الدين والدنيا إلى الوفاة) بان نعافى فى الدنيا ونموت على حسن الخاتمة .

(وواجب) عقلا (وحدة ذى الجلال) أى الله ذى العظمة (فى الذات) فليس مركبا من جزئين فأكثر وليس له مثيل ولا شبيه (والصفات) وليس لغيره صفات مثل صفاته وليس صفاته تعدد من نوع واحد فحياته واحدة وعلمه واحد وقدرته واحدة وإرادته واحدة وهكذا باقى صفاته (والأفعال) فهو فاعل الأفعال كلها فلا تأثير لغيره .

(١) رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة وإسناده حسن .
(٢) رواه أحمد والنسائى والحاكم وصححه .

كالماءِ للرىِّ وكالسكينِ ... والنارِ فى القطعِ وفى التسخينِ
وقدرةُ العبدِ وغيرِ ذلكْ ... فالكلُّ خلقٌ للقديرِ المالكْ
وما لهُ فى صُنعهِ من مِثْلِ ... وليسَ للعبدِ اختراعُ فعلِ
نعمْ لهُ كسبٌ بهِ يُكلَّفُ ... شرعاً ولا تأثيرَ منهُ يُؤلَفُ
ولتحذرِ النسجَ على منوالِ ... ما خالفَ المذكورَ من أقوالِ
واللهُ عن أفعالهِ لا يُسألُ ... والقدرىُّ لم يقلْ ما يُعقلُ

(كالماء للرى) الذى هو سبب فيه (كالسكين والنار فى القطع وفى التسخين) وكالسكين التى هى سبب فى القطع والنار التى هى سبب فى التسخين والحرق .

(وقدرة العبد) المخلوق التى هى سبب لفعله الاختيارى (وغير ذلك) أى المذكور كالثياب التى هى سبب الستر ودفع الحر والبرد (فالكل) أى الأسباب ومسبباتها (خلق القدير) لله القادر (المالك) للعالم .

(وماله) أى الله (فى صنعه من مثل) ليس فيه من يصنع كصنع الله (وليس للعبد) المخلوق (اختراع) إيجاد وخلق (فعل) وإنما خالق الأفعال هو الله .

(نعم) جواب عن سؤال مقدر تقديره هل للعبد كسب (له) للعبد (كسب) أى ميل واختيار مقارن فعله ولا يؤثر فيه (به) بالكسب (يكلف) يلزم العبد بما فيه كلفة (ولا تأثير منه) من العبد فى فعله الذى يكتسبه (يؤلف) يعرف .

(ولتحذر) ولتجتنب (النسج) الاعتماد فى اعتقادك (على منوال) أصل المنوال الخشبة التى يلف الحائك الثوب المنسوج عليها والمراد هنا القاعدة (ما خالف المذكور) الذى خالف القول المذكور (من أقوال) المعتزلة والجبرية وغيرهما على اعتقادهم الفاسد أن العبد خالق أفعاله .

(والله عن أفعاله) ما يفعله بعبيده خيرا كان أو شرا (لا يسال) عما يفعل فى خلقه وهم يسالون (والقدرى) القائل ان للعبد قدرة مؤثرة فى فعله يخلقه بها ولا تأثير فيه لقدرة الله (لم يقل ما يعقل) لم يقل قولا يصدقه العقل لأنه يلزم على قوله عجز الله وهو باطل ومخالف لنصوص القرآن كقوله والله خلقكم وما تعملون .

وَجَوَّزَ الْبَعْضُ دَلِيلَ السَّمْعِ ... فِي وِحْدَةٍ وَقِيلَ ذَا ذُو وَضْعِ
لِأَنَّهَا لَوْ انْتَفَتْ عَنْهُ عُدِمْ ... صُنْعٌ مِنَ التَّمَانُعِ الَّذِي عُلِمْ

(وجوز البعض) من أهل السنة (دليل السمع) أى المسموع من القرآن السنة (فى وحدة) فى وجوب الوحدة فى الذات والصفات والأفعال (وقيل ذا) أى الدليل على الوحدة بالدليل السمعى (ذو وضع) أى صاحب كذب فلا يصح الاستدلال عليها إلا بالدليل العقلى فلا تأثير لشىء من الحوادث فى شىء آخر لا بالطبع ولا بالعلة ولا بقوة خلقها الله فيه فمن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعى فلا تلتفت فالمؤمن الموحد الناجى من اعتقد ان المؤثر هو الله وأنه لا تأثير لشىء من الكائنات وأن الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها من الله

(لأنها) أى الوحدانية (لو انتفت عنه) عن الله (عدم صنع)عدم العالم المصنوع منه وعدمه باطل بمشاهدة وجوده فلزومه وهو انتفاء وحدانية الله باطل فثبت نقيضه وهو وجوب وحدانية الله وهو المطلوب (من) لأجل (التمانع) التمارض بين الالهين او الآلهة (الذى علم) وبيان ذلك أنهما إما أن يتفقا على خلق العالم أو يختلفا وعلى كل يلزم عدم وجود شىء من العالم أما الأول فلانه لو اتفقا على أن يوجدا العالم من أوله إلى آخره دفعة واحدة فى وقت واحد من غير معاونة فيلزم عليه اجتماع مؤثرين على مؤثر واحد وهو محال لا تتعلق القدرة به كما يلزم عليه من رجوع الاثر الواحد أثرين وذلك لا يعقل ولو اتفقا على ايجاد ذلك لكن مع المعاونة فيلزم عليه عجزهما ولو اتفقا على أن يوجداه مرتبا يوجده احدهما فى وقت ويوجده الآخر فى وقت آخر فيلزم عليه تحصيل الحاصل وهو محال ولو اتفقا على أن يوجداه مناصفة بأن يوجد أحدهما نصفه ويوجد الآخر نصفه فيلزم عليه عجزهما وبيان ذلك أن الاله يجب أن تكون قدرته تامة لا يشغله مقدور عن مقدور عامة التعلق بجميع الممكنات لا يعجزه أمر من الامور فلو تعلقت ببعضها دون بعض لزم عليه عجزها عن جميعها لانه ترجيح بلا مرجح لان البعض الذى لم تتعلق به مساو لما تعلقت به فتعلقها بالبعض دون البعض نقص لانه يؤدى إلى افتقارها إلى مخصص وهو محال لان النصوص القطعية ناطقة بتعلقها بجميع الممكنات وحين بطل التعدد ثبتت الوحدانية وهو المطلوب ويسمى هذا برهان التمانع وقد أشار اليه بقوله

وَنَفْيُ تَأْثِيرٍ عَنِ الْأَسْبَابِ يُعْلَمُ مِنْ بُرْهَانِ هَذَا الْبَابِ
فَتِلْكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْقُدْسِيَّةْ سِتٌّ وَأُولَاهَا هِيَ النَّفْسِيَّةْ
أَعْنِي الْوُجُودَ وَالْبَوَاقِي الْخَمْسُ سُلْبِيَّةٌ وَمَا بِذَاكَ لَبْسُ
لِسَلْبِهَا عَنِ الْإِلَهِ مَالَا يَلِيقُ وَاقْتِضَائِهَا كَمَالَا
وَكُلُّ وَصْفٍ وَاجِبٍ لِلذَّاتِ مَا دَامَتْ بِلَا زَيْدٍ لِنَفْسٍ ذُوَاتُهَا
وَمَنْ يَرَى الْوُجُودَ عَيْنَ الذَّاتِ كَالشَّيْخِ لَمْ يَعُدَّهُ فِي الصِّفَاتِ

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أى لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم يوجدا لكن عدم وجودهما باطل بالمشاهدة فبطل ما أدى إليه وهو جنس آلهة غير الله فثبت أن الله واحد لا شريك له فى ذاته وصفاته وأفعاله وهو المطلوب .

(ونفى تأثير) عدم تاثير (عن الأسباب) فى مسبباتها (يعلم) عدم تأثير الأسباب فى مسبباتها (من برهان هذا الباب) أدلته ومثل لأسباب فقال .

(فتلك من صفاته) أى الله (القدسية) المنسوبة للقدس وهو الطهر والتنزه عن جميع النقائص (ست وأولاها هى النفسية) هى الصفة المسماة بالنفسية فى اصلاح علماء التوحيد .

(أعنى الوجود) بأولاها (والبواق الخمس) والصفات البواق وهى القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية (سلبية) لدلالتها على سلب ماهو محال فى حق الله (وما بذاك لبس) خفاء .

(لسلبها) أى الصفات الخمس (عن الاله مالا يليق) وصفاً يستحيل فى حقه (واقتضائها) استلزامها (كمالا) واجبا لله .

(وكل وصف واجب) عقلا (للذات ما دامت) الذات (بلا زيد) بلا اعتبار وصف زائد عليها (لنفس ذواتها) صاحب انتساب يعنى ان الصفة النفسية صفة واجبة للذات .

(ومن يرى) من العلماء (الوجود عين) هو نفس (الذات كالشيخ) أبى الحسن على الأشعرى (لم يعدده فى الصفات) أى الوجود ومن قال انه زائد عليها عده من الصفات .

وَقَدْ أَشَرْنَا لِلْمُحَالِ وَهْوَ مَا نَافَى الَّتِى وُجُوبُهَا تَقَدَّمَا

فصل فى المعانى

وَالْعِلْمُ وَالْحَيَاةُ وَالْقُدْرَةُ مَعْ إِرَادَةَ اللهِ بِهَا الْعَقْلُ قَطَعْ

لِأَنَّهَا لَوِ انْتَفَتْ لَمَا وُجِدْ شَىْءٌ مِنَ الصُّنْعِ الَّذِى بِهَا شَهِدْ

وَبَعْضُ مَنْ يُنْمَى لَهُ الْإِيقَانُ قَالَ دَلِيلُ عِلْمِهِ الْإِتْقَانُ

لِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ الَّذِى ظَهَرْ إِحْكَامُهُ كُلَّ الْعُقُولِ قَدْ بَهَرْ

سُبْحَانَ مَنْ أَوْدَعَهُ إِذْ أَبْدَعَهْ مِنْ حِكَمٍ جَلِيلَةٍ مَا أَوْدَعَهْ

(وقد أشرنا للمحال) عقلا فى حق الله (وهو) أى المحـــال فى حق الله (ما نافى) الوصف الذى خالف الصفة (التى وجوبها تقدما) تقدم بيانه وهو العدم المنافى للوجود والحدوث المنافى للقدم والعدم المنافى للبقاء ومماثلة الحوادث المنافية للمخالفة وافتقار المنافى للقيام بالنفس

(فصل فى المعانى)

(والعلم) وهو الصفة التى ينكشف بها كل واجب ومستحيل وجائز (والحياة) الصفة المصححة لموصفها الادراك (والقدرة) أى الصفة التى يمكن بها ايجاد كل ممكن وإعدامـــه (مع ارادة الله) الصفة التى يخصص بها الله كل ممكن ببعض الجائزات (بها العقل قطع) جزم العقل بوجوبها لله (لأنها) أى الصفات الأربعة (لو انتفت لما وجد شىء من الصنع) العالم المصنوع (الذى بها شهد) دل على وجوبها لله لأنه لو انتفت عن الله صفة من هذه الصفات الأربع لما وجد شىء من العالم لتوقف وجوده على القدرة وهى على الارادة وهى على العلم والجميع على الحياة

(وبعض من ينمى) ينسب (له الايقان) اليقين (قال) ذلك البعض (دليل علمه) دليل وجوب علم الله عقلا (الاتقان) إحكام المصنوعات

(لأن هذا العالم الذى ظهر) بمشاهدة العين (أحكامه) اتقانه (كل) جميع (العقول قد بهر) غلب وقهر

(سبحان) تنزه الله (من) الذى (أودعه) جعل فى العالم (إذ أبدعه)

وَقَدْ مَضَى ذِكْرٌ لِبَعْضِ مَا اشْتَمَلْ عَلَيْهِ إِجْمَالاً بِمَا النَّظْمُ احْتَمَلْ
وَالسَّمْعُ وَالأَبْصَارُ وَالْكَلاَمُ جَاءَ بِهَا النَّقْلُ وَلاَ مَلاَمُ
إِذْ كُلُّ مَا لَمْ يَتَوَقَّفْ شَرْعٌ عَلَيْهِ فَالدَّلِيلُ فِيهِ السَّمْعُ
وَعَكْسُهُ مُمْتَنِـــعٌ لِلدَّوْرِ فَاقْطِفْ بِأَيْدِي الْفَهْمِ أَبْهَى النَّوْرِ
وَقِيلَ لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَزِمْ وَصْفٌ بِأَضْدَادٍ بِنَقْصِهَا جُزِمْ

خلقه على غير مثال سابق (من حكم) أسرار (جليلة) عظيمة (ما أودعه) من العجائب التى لايحاط بها

(وقد مضى) تقدم (ذكر لبعض ما اشتمل) العالم (عليه إجمالا بما النظم احتمل) بحسب القدر الذى احتمله النظم

(والسمع) الصفة التى ينكشف بها كل موجود سواء كان واجبا أو ممكنا ذاتا أوصفة (والأبصار) الصفة التى ينكشف بها كل موجود سواء كان قديما أوحادثا ذاتا أوصفة (والكلام) الصفة الدالة على كل موجود قديما كان أو حادثا وعلى كل معدوم ممكنا كان أو مستحيلا التى ليست بحرف وصوت وسر وجهر وعربية وعجمية ولا بناء ولا لحن ولا تقديم ولا تأخير ولا فصل ولا وصل ولا ابتداء ولاانتهاء ولا وقف ولا سكون (جاء بها النقل) الكلام المنقول عن الله كقوله وهو السميع البصير وكلم الله موسى تكليما (ولا ملام) لا لوم على الاستدلال عليها بالنقل

(إذ كل ما) وصف (لم يتوقف شرع) كتاب وسنة (عليه فالدليل فيه السمع) الكلام المسموع من الله ورسوله ﷺ

(وعكسه) أى مايتوقف الشرع عليه كالوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والحياة والقدرة والارادة والقيام بالنفس والوحدانية (ممتنع) الاستدلال عليه بالسمع (للدور) وهو توقف كلا أمرين على الآخر المستلزم توقف الشىء عن نفسه وتقدمه عليها وتأخيره عنها (فاقطف) اجن (بأيدى الفهم) الادراك والعلم (أبهى النور) أحسن العلم شبه الفهم بانسان وشبه العلم بالثمر .

(وقيل) فى الاستدلال على السمع والبصر والكلام بالدليل العقلى (لولم

وَفِيهِ بَحْثٌ بِرَقْمِهِ قَدْ أَوْمَضَا   بِعَكْسِ وَحْدَانِيَةٍ كَمَا مَضَى
وَأَثْبَتَ الْإِدْرَاكَ قَوْمٌ وَاكْتَفَى   بِالْعِلْمِ نَافِيهِ وَبَعْضٌ وَقَفَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي   لَهَا وُجُودٌ خَارِجَ الْأَذْهَانِ

يتصف بها لزم وصف) الله (باضداد) باضدادها وهى الصمم والعمى والبكم (بنقصها جزم) أى الأضداد لكن وصف الله باضدادها باطل لأنها نقائص والنقائص على الله محال

(وفيه بحث) أى الاستدلال بالدليل العقلى (برقه قد اومضا) لمع فالاستدلال على وجوب هذه الصفات وهى السمع والبصر والكلام بالدليل السمعى أقوى من العقلى (بعكس وحدانية) فالاستدلال على وجوب الوحدانية لله بالدليل العقلى أقوى من الدليل السمعى (كما مضى) كالذى مضى والحاصل ان العقائد ثلاثة أقسام قسم يعتمد فيه على دليل العقل دون السمع وهو ما يتوقف على المعجزة وقسم يعتمد فيه على دليل السمع ولا مجال للعقل فيه وهو جميع السمعيات وقسم يستدل عليه بهما وهو قسمان قسم دليل العقل أقوى من دليل السمع وهو الوحدانية وقسم دليل السمع فيه أقوى من دليل العقل وهو السمع والبصر والكلام .

(واثبت الادراك) فى صفات الله (قوم) من المتكلمين (واكتفى) عن وجوب الادراك صفة (بالعلم) بوجوب العلم (نافيه) أى الادراك (وبعض وقفا) توقف بعض العلماء فلم يثبت (الادراك) صفة ولم ينفه (١)

(واعلم بأن هذه المعانى) السبعة وهى القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام (لها وجود خارج الأذهان) أى زائد على اثبات الأذهان لها بحيث يمكن رؤيتها لو كشف الحجاب فالشىء له وجودات أربعة وجود فى العيان وهو وجود الحقيقة ووجود فى الأذهان وهو إدراك العقل لمعنى الحقيقة ووجود فى اللسان وهو ذكر اللسان الحقيقة ووجود بالبنان وهو كتابته الحقيقة .

---

(١) وهو الواجب . لأنه لم يرد إطلاق الادراك على الله إلا فى باب المقابلة والمزاوجة نحو قوله تعالى (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)

وَلاَ يُقَالُ إِنَّهَا عَيْنٌ وَلاَ ... غَيْرٌ لِذَاتٍ فَاعْرِفِ الْمُعَوَّلاَ
وَانْسُبْ لِكُلِّ مَا سِوَى الْحَيَاةِ ... تَعَلُّقاً وَشَرْحُهُ سَيَاتِى
فَكُلُّ مُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِهِ ... إِرَادَةٌ وَقُدْرَةٌ فَانْتَبِهِ
وَإِنْ يَكُنْ عِلْمٌ بِنَفْيِهِ جَرَى ... فَفِى تَعَلُّقٍ بِهِ خِلَافٌ سَرَى
مِثَالُهُ الْإِيمَانُ مِنْ أَبِى لَهَبْ ... وَالْبَعْضُ لِلتَّوفِيقِ فِى هَذَا ذَهَبْ
أَىْ مَنْ رَأَى تَعَلُّقاً بِهِ اعْتَبَرْ ... إِمْكَانَهُ الْأَصْلِى مَعَ قَطْعِ النَّظَرْ

(ولا يقال انها عين) لذات الله وليست زائدة عليها بان تكون ذاته عين حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه (ولا) يقال انها (غير لذات) أى لذات الله بحيث لاتلزمها وتوجد بدونها مستقلة بنفسها (فاعرف المعولا) أى القول الصحيح فى هذه المسألة .

(وانسب لكل) صفة من صفات المعانى (ما سوى) صفة (الحياة تعلقا) إقتضاء واستلزاما لشىء زائد على الذات الموصوف بها (وشرحه) أى التعلق (سيأتى) فى فصل التعلق .

(فكل ممكن) أى جائز عقلا (تعلقت به ارادة وقدرة) فلا تتعلقان بواجب ولا مستحيل (فانتبه) أى تيقظ

(وإن يكن علم) لله (بنفيه) وهو عدم وقوع الممكن (جرى) حصل (فى تعلق) للقدرة والارادة (به) بذلك الممكن الذى علم الله عدم وقوعه وعدم تعلقها به (خلف) اختلاف بين العلماء (سرى) حصل

(مثاله) أى الممكن الذى علم الله عدم وقوعه (الايمان) التصديق بالله ورسله (من أبى لهب والبعض) من المتكلمين (بالتوفيق) بين القولين (فى هذا) أى التعلق وعدمه (ذهب) وفسر التوفيق بينهما بقوله

(أى من رأى) من العلماء (تعلقا) للقدرة والارادة (به) أى الممكن الذى علم الله عدم وقوعه (اعتبر) لاحظ (امكانه) أى الممكن الذى علم الله عدم وقوعه الأصلى) الثابت له باعتبار ذاته لا باعتبار عارض عرض (مع قطع النظر) عن غيره أى امكانه الأصلى وهو الامتناع العارض له باعتبار تعلق علم الله بعدم وقوعه .

عَنْ غَيْرِهِ وَمَنْ نَفَاهُ رَاعَا ... تَعَلُّقَ الْعِلْمِ بِهِ امْتِنَاعَا
وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ بِالْمَوْجُودِ قَدْ ... تَعَلَّقَا لَا غَيْرُ عِنْدَ مَنْ نَقَدْ
وَلَيْسَ يُسْتَغْنَى بِعِلْمٍ عَنْهُمَا ... لِلِافْتِرَاقِ شَاهِدًا بَيْنَهُمَا
وَرَدَّهُ بَعْضُ ذَوِي التَّحْقِيقِ ... وَالنَّظْمُ عَنْ تَقْرِيرِهِ ذُو ضِيقِ
وَحُكْمُ إِدْرَاكٍ لَدَى مَنْ قَالَ بِهْ ... حُكْمُهُمَا فَلْتُفْرِغَنْ فِي قَالَبِهْ
وَالْعِلْمُ وَالْكَلَامُ قَدْ تَعَلَّقَا ... بِوَاجِبٍ وَمُسْتَحِيلٍ مُطْلَقَا
وَجَائِزٌ فَاسْتَوْعِبَ الْأَقْسَامْ ... وَالرَّبُّ فِي الْجَمِيعِ لَا يُسَامْ

(عن غيره ومن نفاه) والعالم الذى نفى تعلق القدرة والارادة بالممكن الذى علم الله عدم وقوعه (راعا) اعتبر (تعلق العلم به) اى بعدم وقوع الممكن (امتناعا) له والممتنع لاتتعلق به القدرة والارادة

(والسمع والبصر بالموجود قد تعلقا) سواء كان الموجود واجبا أو جائزا ذاتا أو صفة (لاغير) الموجود سواء كان محالا أو جائزا (عند من نقد) حقق

(وليس يستغنى بعلم عنهما) أى السمع والبصر (للافتراق)التغاير (شاهدا بينهما) أى بين الانكشاف الحاصل بالعلم والانكشاف الحاصل بالسمع والانكشاف الحاصل بالبصر

(ورده) أى الاستدلال المذكور (بعض ذوى التحقيق) أى أصحاب التحقيق (والنظم عن تقريره) أى الرد المذكور (ذو ضيق) ضيق

(وحكم ادراك) فى التعلق (لدى) عند (من قال به) من العلماء (حكمهما) أى السمع والبصر فى التعلق بكل موجود (فلتفرغن فى قالبه) أى صورته فلتقس صفة الادراك على القول بها على صفتى السمع والبصر فى جميع ماتقدم

(والعلم والكلام قد تعلقا بواجب) عقلا (ومستحيل) عقلا (مطلقا) سواء كان ذاتا او صفة

(وجائز) أى تعلقا بكل جائز عقلا فتعلق العلم تعلق انكشاف وتعلق الكلام تعلق دلالة (فاستوعب الأقسام) تمت متعلقات الصفات (والرب فى الجميع)

﴿ فصل فى المعنوية ﴾

وَالسَّبْعُ لاَزَمَتْ صِفَاتٌ تُسْمَى بِمَعْنَوِيَّةٍ إِلَيْهَا تُنْمَى
كَوْنُ الإِلٰهِ عَالِماً قَدِيراً حَيّاً مُرِيدًا سَامِعاً بَصِيرًا
وَذَا كَلاَمٍ وَالْمَقَالُ حَالِ بَعْدَهَا عَلَى ثُبوتِ الْحَالِ
وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمْ وَنَهْجُهَا تَشْكُو الْوَجَا فِيهِ الْقَدَمْ
وَمَنْ نَفَى الْحَالَ فَقَدْ رَآهَا عِبَارَةً عَنْ تِلْكَ لاَ سِوَاهَا

أى الواجبات والمستحيلات والجائزات (لا يسام) لا يماثل كما لا يماثل فى ذاته .

﴿ فصل فى المعنوية ﴾

(والسبع) أى صفات المعانى (لازمت صفات) لازمتها صفات سبع (تسمى بمعنوية إليها) إلى المعانى (تنمى) تنسب .

(كون الاله عالما) اللازم للعلم (قديراً) اللازم للقدرة (مريداً) اللازم للارادة (سامعاً) اللازم للسمع (بصيراً) اللازم للبصر .

(وذا كلام) وكونه متكلما اللازم للكلام (والمقال حال) أى صحيح (بعدها) أى الصفات المعنوية (على ثبوت الحال) حال كونه أى الوجود .

(واسطة بين الوجود) أى الموجود (والعدم) أى المعدوم (ونهجه) طريق إثبات الحال متوسطة بين الحال الموجود والمعدوم (تشكو الوجا) الألم (فيه القدم) أى الرجل يعنى أن الدليل على إثبات الحال واسطة أعيا العقول وطال فيه القول بين العلماء .

(ومن نفى الحال) العالم الذى نفى الواسطة بين الموجود والمعدوم (فقد رآها) أى المعنوية (عبارة عن تلك) أى لفظا معبراً به عن قيام المعانى بالذات (لاسواها) وأن الوجود عين الموجود لاشىء زائد عليه .

وَمُثْبِتُ الإِدْرَاكَ يُجْرِيهِ عَلَى أَحْكَامِ هَذِى السَّبْعِ مِثْلَ مَا خَلَا

(فصل فى التعلق)

وَاخْتَلَفَ الأَشْيَاخُ فِى التَّعَلُّقِ فَقِيلَ نَفْسِىٌّ لَدَى التَّحَقُّقِ
أَىْ طَلَبُ الصِّفَاتِ زَائِدًا عَلَى قِيَامِهَا بِذَاتِ مَوْصُوفٍ عَلَا
كَالْكَشْفِ بِالْعِلْمِ وَكَالدَّلَالَهْ مِنَ الْكَلَامِ وَصْفُ ذِى الْجَلَالَهْ[1]

(ومثبت الادراك) من قال بثبوت الادراك من صفات المعانى زائداً على السبع (يجريه) يحمل أحكام الادراك (على أحكام هذى السبع) المعانى فيقول له صفة معنوية لازمة لها وهو كونه مدركا وهو وصف بأنه ليس موجوداً ولا معدوما ومن نفاها قال هو عبارة عن قيامه بالذات (مثل ما خلا) الذى مضى .

﴿ فصل فى التعلق ﴾

(واختلف الأشياخ) العلماء (فى التعلق) فى حقيقته ومعناه (فقيل) وصف (نفسى) للصفة المتعلقة (لدى التحقق) التأمل .

(أى طلب) استلزام (الصفات) المعانى المتعلقة شيئاً (زائداً على قيامها بذات موصوف علا) علواً معنوياً وتنزه عن كل مالا يليق به ومثل للتعلق فقال

(كالكشف) الاتضاح ورفع الخفاء (بالعلم وكالدلالة من الكلام وصف ذى الجلالة) العظمة فالعلم وصف موجود مستلزم شيئا زائداً على قيامه بالذات ينكشف به والارادة صفة موجودة مستلزمة شيئا زائداً على قيامها بالذات يتخصص بها والقدرة صفة موجودة مستلزمة شيئا زائداً على قيامها بمحلها يتأتى بها إيجاده وهكذا باقى المعانى إلا الحياة فانها لا تستلزم شيئا زائداً على قيامها بمحلها .

---

(١) بعد هذا البيت بيتان تركهما الشارح سهوا ، أو لم يكونا فى نسخته ، وهما :

لَكِنَّ ذَا الْقَوْلَ لِوَصْفِ الْحَالِ بِالْحَالِ أَفْضَى وَهْوَ ذُو إِشْكَالِ
فِى قَوْلِ مَنْ لِلْمَعْنَوِيَّةِ الْتَزَمْ وَبِالتَّعَلُّقِ لَهَا أَيْضاً جَزَمْ

وَقِيلَ نِسْبَة وَلِلْفَخْرِ انْتَمَى	ذَا الْقَوْلُ وَالسَّعْدُ ارْتَضَاهُ وَاعْتَمَا
وَمُسْنِدُ الأَحْكَامِ لِلصِّفَاتِ	فَقَطْ إِلَى الْمَجَازِ ذُو الْتِفَاتِ
وَالْحَقُّ أَنْ تُسْنَدَ لِلذَّاتِ الَّتِي	قَدْ وُصِفَتْ بِذِي الصِّفَاتِ جَلَّتِ
هَذَا الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْمُقْتَرِحْ	وَغَيْرُهُ وَالصَّدْرُ مِنْ ذَاكَ انْشَرَحْ
وَقَوْلُهُمْ سُبْحَانَ مَنْ تَوَاضَعَا	كُلٌّ لِعِزِّهِ أَبَى مَنْ نَازَعَا

(وقيل) ان التعلق (نسبة) أى اضافية بين الصفة ومتعلقها (وللفخر انتما) نسب هذا القول (والسعد ارتضاه) هذا القول (واعتما) ورد هذا القول بعضهم وقال انه بعيد عن التحقيق .

(ومسند الأحكام) أى الكشف والتخصص والايجاد (للصفات) بقوله كشف العلم والسمع والبصر ما خفى وأوجدت القدرة وخصصت الارادة (فقط) بدون الذات (إلى المجاز) وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة وقرينة مانعة من ارادة ما وضع له (ذو التفات) أى قصد واعتبار .

(والحق) الحقيقة (ان تسند) الأحكام (للذات التى قد وصفت بذى الصفات) بأن يقال عز الله بعلمه كل شىء وخلق بقدرته كل حادث وخصص بارادته كل ممكن وسمع بسمعه كل موجود ودل بكلامه على كل شىء (جلت) أى عظمت .

(هذا) اى اسناد الأحكام حقيقة لذات الله الموصوف بتلك الصفات ولصفات المعانى مجازا هو (الذى نص عليه المقترح وغيره والصدر من ذاك انشرح) من هذا القول

(وقولهم) بعض العلماء (سبحان من تواضعا كل لعزه أبى) بعض العلماء (من نازعا) الذين خالفوا فى صحة اسناد الاحكام إلى المعانى وقولهم ضعيف فان الذى دل عليه النقل والشرع أن التواضع لله من مخلوقاته بكل حال باعتبار الذات والصفات والأفعال قال الله إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وقال رسول الله ﷺ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك (١)

(١) هذا ثابت من دعائه ﷺ فى عدة أحاديث .

(فصل فى منافيات المعانى والمعنوية)

وَمَا يُنَافِي مَا مَضَى الْعَقْلُ حَكَمْ ... بِأَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ كَالْبَكَمْ
وَمَا لَهُ يَرْجِعُ كَالثُّبُوتِ ... لِلْحَرْفِ وَالصَّوْتِ وَكَالسُّكُوتِ
وَإِنَّمَا كَلَامُهُ الْقَدِيمُ ... مَا فِيهِ تَأْخِيرٌ وَلَا تَقْدِيمُ
نَعَمْ وَلَا لَحْنٌ وَلَا إِعْرَابُ ... أَوْ كُلٌّ أَوْ بَعْضٌ أَوِ اضْطِرَابُ
إِذْ كُلُّهَا إِلَى الْحُدُوثِ انْتَسَبَا ... كَكَوْنِ عِلْمِهِ عَلَا مُكْتَسَبَا
وَهْوَ مُحَالٌ وَكَذَا الْجَهْلُ وَمَا ... ضَاهَاهُ وَالْوَصْفُ بِمَوْتٍ أَوْ عَمَى

﴿ فصل فى منافيات المعانى والمعنوية ﴾

(وما ينافى ما مضى) الوصف الذى ينافى ما مضى من صفات المعانى والمعنوية (العقل حكم بأنه من المحال) فى حق الله (كالبكم) وهو العجز عن الكلام (وماله يرجع) والذى يرجع للكلام (كالثبوت للحرف والصوت) كون كلام الله مركبا من حروف وأصوات ككلام الحوادث (وكالسكوت) اللازم للعجز والدال على حدوثه .

(وإنما كلامه القديم) أى كلام الله القديم (مافيه تأخير ولا تقديم) ليس فى كلام الله تأخير لبعضه عن بعض ولا تقديم لبعضه على بعض .

(نعم ولا لحن ولا اعراب) ليس فى كلام الله لحن ولا اعراب (أوكل) وليس مركبا من اجزاء (أو بعض) أى جزء (أو اضطراب) أى اختلاف

(إذ كلها) أى التأخير والتقديم وغيرهما (إلى الحدوث انتسبا) إلى الوجود بعد العدم (ككون علمه) أى الله (علا مكتسبا) وهو العلم الحاصل عن النظر والاستدلال .

(وهو محال) لما علمت من كونه يلزم منه قيام الحوادث بذاته ويلزم منه سبق الجهل فى حقه وهو محال (وكذا الجهل) فهو محال فى حق الله وهو منافى العلم (وما ضاهاه) شابه الجهل من الظن والشك فهو محال فى حق الله (والوصف بموت) فهو محال فى حق الله وهو منافى للحياة (أو عمى) فهو محال فى حق الله وهو منافى للبصر

أَوْ صَمَمٍ وَقَدْ سَمَا مَنْ خَلَقَا ... عَنْ عَجْزِهِ عَنْ مُمْكِنٍ مَا مُطْلَقَا
كَذَلِكَ الْإِيجَادُ مَعَ كَرَاهَتِهْ ... لِفِعْلِهِ أَعْنِي انْتِفَا إِرَادَتِهْ
أَوْ كَوْنُهُ طَبِيعَةً أَوْ عِلَّةً ... لِلْخَلْقِ أَوْ إِيجَادُهُ مَعْ غَفْلَةْ

(فصل فى الآمر والارادة والرضاء والمحبة)

وَأَمْــرُهُ يُغَايِرُ الإِرَادَةْ ... إِذْ عَمَّ أَمْرُ طَاعَةٍ عِبَادَهْ
وَلَمْ يُرِدْ وُقُوعَهَا مِنْ كُلِّهِمْ ... بِلاَ ارْتِيَابٍ بَلْ وَلاَ مِنْ جُلِّهِمْ

(أو صمم) فهو محال فى حق الله وهو منافى للسمع (وقد سما) تنزه (من خلقا) العالم كله (عن عجزه) عن العجز وهو منافى للقدرة (عن ممكن ما مطلقا) عن إيجاد أى ممكن أراد إيجاده .

(كذلك الايجاد مع كراهته) كذلك فى الاستحالة إيجاد الله الخلق مع كراهيته (لفعله) أى خلق الممكن (أعنى انتفا ارادته) عدم ارادة الله لايجاد ذلك الممكن والكراهية منافية للارادة .

(أو كونه) أى الله (طبيعة) خالقا للعالم بطبعه (أو) كونه (علة للخلق) للعالم بان يلزم من وجود الله وجود العالم بلا توقف على وجود شرط وانتفاء مانع لأنه لو كان سبحانه علة أو طبيعة ـ وقد ثبت قدمه بالبرهان ـ لزم قدم العالم وهو محال فلزومه وكونه سبحانه طبيعة أو علة محال (أو ايجاده) أى الله العـــالم (مع غفلة) عدم شعوره به وعدم إرادته له فذلك كله محال فى حق الله تعالى .

﴿ فصل فى الأمر والارادة والرضا والمحبة ﴾

(وامره) أى طلب الله من عباده فعل شىء أو تركه (يغاير) أمره (الارادة) الواجبة له التى يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه وعلل تغايرهما بقوله (إذ عم أمر طاعة عباده) عم أمر الله العباد بالطاعة له .

(ولم يرد) الله (وقوعها) أى الطاعة (من كلهم) من عباده كلهم (بلا ارتياب بل ولا من جلهم) أى أكثرهم إذ لو أرادها من جميعهم لم يعصه أحد وهو خلاف المشاهد ولو أرادها من أكثرهم لم يعصه أكثرهم وهو خلاف المشاهد .

فَصَحَّ أَنْ يَأْمُرَ بِالشَّيءِ وَلاَ ... يُرِيدُه مَنْ بِالْهُدَى تَطَوَّلاَ

وَمِثْلُهُ الرِّضَى فَلَيْسَ يَرْضَى ... كُفْرَانَ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْمَرْضَى

أَىْ لاَ يُكَلِّفُ النُّفُوسَ مَا نَهَى ... عَنْهُ وَلاَ يُحِبُّ غَيًّا شَانَهَا

وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَهْوَ كَائِن ... وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْمَائِنْ

وَلَيْسَ عَمَّا شَاءَهُ مَحِيدُ ... لِأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

تَجْرِى عَلَى اخْتِيَارِهِ الأَقْدَارُ ... فِى الْخَلْقِ وَالْإِيرَادُ وَالْإِصْدَارُ

(فصح) عقلا (أن يامر بالشىء ولا يريده) أى الشىء المأمور به (من بالهدى تطولا) أنعم

(ومثله) أى الأمر فى كونه غير الارادة (الرضاء) وفرع على كون الرضا غير الارادة بقوله (فليس يرضى كفران أصحاب القلوب المرضى) المريضة بالكفر والمعاصى قال الله تعالى « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » وقال ولا يرضى لعباده الكفر .

(أى لا يكلف) الله (النفوس ما نهى عنه) لا يلزم نفسا ما نهاها عنه قال سبحانه « قل إن الله لايأمر بالفحشاء » (ولايحب) أى الله (غيا) ضلالا (شانها) عاب النفوس

(وكل ما أراد) كل شىء أراد الله وقوعه (فهو كائن) واقع لا محالة (وان نهى عنه) أى الله كالكفر والمعصية (وأخطأ المائن) الكاذب فى قوله لا يريد الله ما نهى عنه قال الله تعالى « ولوشاء ربك مافعلوه » وقال « ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها » وقال « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا »

(وليس عما شاءه محيد) ليس عن وقوع ما أراد الله مخلص (لأنه يفعل مايريد) وإلا لزم كونه مقهورا مغلوبا فتعالى الله عن ذلك

(تجرى على اختياره الأقدار) أى تقع وتوجد الأشياء على وفق علمه واختياره (فى الخلق والايراد) أى الابتداع والابتداء (والاصدار) أى الاعادة بعد الفناء .

(فصل فى حدوث العالم)

وَالعَالَمُ اسْمُ مَا سِوَى الدَّيَّانِ ... مِنْ نَوْعَيِ الأَعْرَاضِ وَالأَعْيَانِ
وَلَمْ يُحَقَّقْ غَيْرَ ذَيْنِ قِسْمُ ... وَكُلُّ مَا أُلِّفَ فَهْوَ الجِسْمُ
وَمَا انْتَهَى لِحَدِّ مَنْعِ القَسْمِ ... فَالجَوْهَرُ الفَرْدُ الشَّهِيرُ الوَسْمِ
وَهْوَ عَلَى مَذْهَبِنَا المَحْمُودِ ... يُوصَفُ بِالحُدُوثِ وَالوُجُودِ
هَذَا وَفِي القَوْلِ بِهِ إِزَاحَهْ ... لِظُلْمَةِ الغَاوِينَ وَاسْتِرَاحَهْ

﴿ فصل فى حدوث العالم ﴾

(والعالم اسم ماسوى الديان) العالم بفتح اللام اسم لكل موجود سوى الله (من نوعى الأعراض) وهو مايقوم بغيره (والاعيان) أى ماقام بنفسه (١) .

(ولم يحقق غير ذين قسم) لم يوجد غير العين والعرض قسم ثالث للعالم (وكل ما ألف فهو الجسم) أى كل موجود مركب من جزأين فأكثر فهو الجسم .

(وما انتهى لحد منع القسم) أى الموجود الذى انتهى لحد منع الانقسام (فالجوهر الفرد) عند المتكلمين (الشهير الوسم) أى التسمية بهذا الاسم .

(وهو) أى الجوهر الفرد (عليه مذهبنا) أى طريقنا أهل السنة (المحمود يوصف بالحدوث والوجود) أى بعد العدم .

(هذا) أى كون الجوهر الفرد موجودا وحادثا (وفى القول به إزاحة) أى إزالة (لظلمة الغاوين) الضالين (واستراحة) أى لأهل السنة .

---

(١) ترك الشارح بيتا لعله ليس فى نسخته ، وهو :

فالعَينُ ما بِنَفْسه يقومُ ... وماعداه العَرَضُ المَرقُومُ

وَفِي حُدُوثِ مَاسِوَى اللهِ الْغَرَضْ   إِذْ كُلُّ عَيْنٍ لَيْسَ يَخْلُو عَنْ عَرَضْ
مِثْلَ الرَّوَائِحِ أَوِ الْأَكْوَانِ   فَلَا تَكُنْ عَنْ شَرْحِهَا بِالْوَانِي
وَلْنَقْتَصِرْ هُنَا عَلَى الْأَكْوَانِ   فَإِنَّهَا لِلْقَصْدِ كَالْعِنْوَانِ
وَهْيَ اجْتِمَاعٌ أَوْ سُكُونٌ أَوْ مَا   نَافَى وَكُلٌّ لِلْحُدُوثِ أَوْمَا
لِأَنَّهَا تُحَقَّقُ فِيهَا الْعَدَمْ   عِنْدَ طُرُوِّ ضِدِّهَا فَلَا قِدَمْ
وَكُلُّ مَا بَانَ بِعَقْلٍ قِدَمُهْ   كَانَ مُحَالاً دُونَ رَيْبٍ عَدَمُهْ
وَكُلُّ مَا لَازَمَ حَادِثاً وَجَبْ   لَهُ مِنَ الْحُدُوثِ مَا لَهُ انْتَسَبْ

(وفى حدوث ماسوى الله الغرض) المقصود (إذ كل عين ليس يخلو عن عرض) إذ كل ذات سوى الله ليست تخلو عن عرض، والاعراض.

(مثل الروايح) وهو مثال للاعراض (أو الأكوان فلا تكن عن شرحها) أى معرفة الأكوان (بالوانى) أى المتراخى.

(ولنقتصر هنا على الأكوان فانها للقصد) أى المقصود (كالعنوان) أى الترجمة.

(وهى) أى الأكوان (اجتماع) بين عينين فأكثر (أو سكون) عدم حركة (أوما نافى) أى قابل الاجتماع وهو الافتراق وقابل السكون وهو الحركة فالأكوان أربعة والذات لا تخلو عن واحد منهما (وكل) من الأكوان الأربعة (للحدوث) أى الوجود بعد العدم (أوما) أى أشار.

(لأنها تحقق فيها العدم) أى الاكوان (عند طرو) أى وجود (ضدها) أى الأكوان فاذا وجد الاجتماع عدم الافتراق وبالعكس وإذا وجد السكون عدمت الحركة وبالعكس (فلا قدم) للاكوان لأن القديم لاينعدم.

(وكل مابان بعقل قدمه) أى كل ماظهر وثبت بعقل قدمه (كان محال دون ريب) تردد (عدمه) أى الذى بان قدمه.

(وكل مالازم حادثا وجب) كل شىء لازم شيئا حادثا ثبت (له) أى ملازم الحادث (من الحدوث ماله انتسب) أى الحدوث الذى انتسب له.

وَعَدُّ الِاجْتِمَاعِ مِنْ نَوْعِ الْعَرَضْ ... كَذَاكَ الِافْتِرَاقُ بَعْضٌ اعْتَرَضْ

وَقَالَ بَلْ أَمْرَانِ نِسْبِيَّانِ ... لَمْ يَصِلَا الْوُجُودَ فِي التِّبْيَانِ

فَبَانَ مِمَّا قَدْ مَضَى بِالسَّرْدِ ... حُدُوثُ مَا سِوَى الْإِلَٰهِ الْفَرْدِ

وَلَا يَتِمُّ الْمُبْتَغَى لِلطَّالِبِ ... إِلَّا بِعِلْمِ السَّبْعَةِ الْمَطَالِبِ

إِثْبَاتُ أَعْرَاضٍ وَكَوْنُ الْعَيْنِ ... تَلَازُمَ الْأَعْرَاضَ دُونَ مَيْنِ

وَالْمَنْعُ لِلْكُمُونِ وَالظُّهُورِ ... وَالِانْتِقَالِ الْمُدَّعَى بِالزُّورِ

(وعد) حسب (الاجتماع) بين الشيئين فأكثر (من نوع العرض كذاك الافتراق بعض) من محقق المتكلمين (اعتراض) البعض عدهما لأنهما لو كانا عرضين إما أن يقوما بمجموع الجوهرين او لكل منهما أو لأحدهما والأول باطل لأنه يؤدى إلى انقسام ما لا ينقسم وكذلك الثانى لأن الواحد بالشخص لا يقوم بمحلين وكذا الثالث لأن نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة .

(وقال) ذلك البعض (بل) هما (أمران نسبيان) أى اضافيان بين الشيئين المجتمعين أو المفترقين كالأخوة التى بين الأخوين

(فبان مما قد مضى بالسرد) ظهر من الدليل الذى مضى ذكره (حدوث ما) أى العالم (سوى) غير (الاله الفرد) الواحد فى ذاته وصفاته وافعاله .

(ولا يتم) المطلوب (للطالب) اثبات حدوث العالم ليستدل به على وجود الله (إلا بعلم السبعة المطالب) التى سنذكرها

(اثبات اعراض) أول المطالب السبعة اثبات الاعراض والعرض ما افتقر إلى ذات يقوم بها (و) ثانيها (كون) الذات والجوهر (تلازم الاعراض دون مين). اى كذب .

(و) ثالثها (المنع للكون) وهو استتار الأعراض فى الجوهر (والظهور) للاعراض بعد كونها (والانتقال) للعرض من جوهر (المدعى بالزور) أى الكذب .

أَوْ أَنَّهَا قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا ... أَوْ كَوْنِهَا قَدِيمَةً فِي جِنْسِهَا
أَيْ قَوْلُهُمْ لَيْسَ لَهَا مِنْ أَوَّلِ ... فَالْأَرْبَعَ ارْدُدْ وَاعْضُدِ الْمُعَوَّلَا
وَانْفِ التَّغَيُّرَ عَنِ الْقَدِيمِ ... تَسِرْ بِنَهْجِ السُّنَّةِ الْقَوِيمِ
وَاحْذَرْ هُنَا أَقْوَالَ أَهْلِ الْفَلْسَفَهْ ... فَإِنَّهَا مَحْضُ الضَّلَالِ وَالسَّفَهْ
جَرَوْا بِهَا مِنْ غَيِّهِمْ ذَيُولَا ... فِي قِدَمِ النَّفْسِ أَوِ الْهُيُولَا
وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي ... أَقْدَامُ مَنْ فِيهَا تَلَاهُمْ زَلَّتِ
فَلَا قَدِيمَ غَيْرُ ذِي الْجَلَالِ ... نَسْأَلُهُ الْأَمْنَ مِنَ الضَّلَالِ

(أو أنها قائمة بنفسها) وخامسها كون الأعراض قائمة بنفسها بدون ذات أو جوهر وسادسها (أو كونها قديمة فى جنسها) أى الأعراض

(أى قولهم) وهم الفلاسفة (ليس لها من أول) أى الاعراض (فالأربع) وهى الكون والظهور وقيامها بنفسها والانتقال وقدم جنسها (اردد) أى ابطل (واعضد) اعتمد (المعول) وهو البرهان القطعى

(وانف التغير عن القديم) أى عن الله القديم وهذا هو المطلب السابع (تسر بنهج السنة القويم) أى بالطريق المستقيم

(واحذر هنا) فى مقام حدوث العالم (أقوال أهل الفلسفة) القائلين بقدم العالم (فانها محض) خالص (الضلال) الكفر (والسفه) أى الكذب الذى لادليل عليه من العقل والنقل

(جروا) أى الفلاسفة (بها) بأقوالهم (من غيهم) كفرهم (ذيولا) فى قدم النفس أى الذات (أو الهيولا) وهى مواد الأشياء وأصولها

(وغيرها) واحذر أقوال غير الفلاسفة التى هى ضلال وبنى غيرها بقوله (من الأقاويل التى اقدام) أى عقول (من فيها تلاهم) أى تبع الفلاسفة (زلت) مالت عن الحق

(فلا قديم) أى من الذوات (غير ذى الجلال) وهو الله (نساله الأمن) أى السلامة (من الضلال) أى الكفر

وَجَائِزٌ فِى حَقِّهِ تَعَالَى ... أَنْ يَخْلُقَ الْأَنَامَ وَالْأَفْعَالَ

كَذَاكَ التَّكْلِيفُ لِلْعِبَادِ ... وَهَدْيُهُمْ لِنَهْجِ رُشْدٍ بَادِ

فَلَيْسَ أَمْرٌ وَاجِبًا عَلَيْهِ ... مِنْهَا بَلْ اخْتِيَارُهُ إِلَيْهِ

وَلَا صَلَاحَ وَاجِبٌ أَوْ أَصْلَحَا ... هَذَا الذِى دَانَ بِهِ مَنْ أَفْلَحَا

فَكُلُّ مَا أَرَادَهُ الصَّوَابُ ... سَوَاءٌ الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ

فَذَاكَ بِالْعَدْلِ وَذَا بِالْفَضْلِ ... من فَاعِلٍ مَا شَاءَ دُونَ عَضْلِ

وَمَا لِعقْلٍ وَحْــــدَهُ تَوَصَّلَ ... إِلَى قَبِيحٍ أَوْ إِلَى مَا يَجْمُلَ

(وجائز فى حقه تعالى أن يخلق الانام) أن يوجد الذوات (والأفعال) وأن يخلق الأفعال القائمة بالذوات.

(كذلك التكليف للعباد) وهو الالزام بما فيه كلفة (وهديهم لنهج) أى طريق (رشد باد) أى ظاهر.

(فليس أمر واجبا عليه) أى الله (منها) أى من خلق الأنام والأفعال والهداية (بل اختياره اليه) أى خلق الأنام والأفعال والهداية. إن شاء فعل وإن شاء ترك.

(ولا صلاح) وهو ضد الفساد (واجب) على الله (أو أصلحا) وهو الزائد فى الصلاح كالعفو بلا تنعيم صلاح. ومعه أصلح (هذا) أى اعتقاد أنه لم يجب على الله شىء من المذكورات وأنها كلها جائزة فى حقه (الذى دان به) أى تعبد (من أفلحا) أى نجا من الشقاوة وسوء الاعتقاد وسـعد فى الآخرة بحسن اعتقاده الصحيح ونزه الله عن كل مالا يليق به

(فكل ما أراده) أى الله (الصـواب سوء العقاب) للعباد (والثواب) للعباد.

(فذاك) أى العقاب (بالعدل) أى بعدل منه (وذا بالفضل) أى الثواب والرحمة (من فاعل ما شاء) وهو الله (دون عضل) أى منع مانع يمنعه

(وما لعقل وحده) أى منفرد عن الشرع (توصل إلى قبيح) أى إدراك قبيح شرعا سـواء كان منهيا عنه نهيا جازما أم لا (وإلى) أى ادراك (ما يجمل)

بَلْ مَا بِفِعْلِهِ أُمِرْنَا فَالْحَسَنْ ... وَضِدُّهُ انقَادَ لِقُبْحٍ بِالرَّسَنْ
وَلَوْ عَلَيْهِ وَجَبَ الصَّلَاحُ ... سُبْحَانَهُ عَمَّ الْوَرَى الْفَلَاحُ
وَكَانَ خَلْقُهُمْ بِدَارِ الْمَأْوَى ... أَصْلَحَ مِن تَعْرِيضِهِمْ لِلْأَوَى
وَلِلتَّكَالِيفِ بِهَذِي الدَّارِ ... وَمَا يُقَاسُونَ مِنَ الْأَكْدَارِ
إِنْ قِيلَ زَادَهُمْ بِذَاكَ أَجْراً ... لَهُمْ عَلَى قَدْرِ الْعَنَاءِ أَجْرَى
قُلْنَا الْإِلٰه قَادِرٌ أَنْ يُوصِلَهْ ... إِلَيْهِمْ دُونَ أُمُورٍ مُعْضِلَهْ
وَأَيْضاً الذِي عَلَى الْكُفْرِ هَلَكْ ... تَكْلِيفُهُ بِهِ إِلَى ضَيْرٍ سَلَكْ

شرعا سواء كان ما يؤمر به أمرا جازما أم لا

(بل ما بفعله أمرنا) أى أمرنا الله (فالحسن) الذى يستحق فاعله الثواب وتاركه العقاب (وضده) وهو ما أمرنا بتركه أمرا جازما ويستحق فاعله العقاب (انقاد لقبح بالرسن) أى الزمام

(ولو عليه) أى الله (وجب الصلاح) للعباد (سبحانه عم) أى شمل (الورى الفلاح) أى الفوز والنجاة

(وكان خلقهم) أى الورى (بدار المأوى) أى الجنة (أصلح) لهم (من تعريضهم للأوى) أى للشاق والمصائب فى الدنيا

(وللتكاليف بهذى الدار) أى فخلق الورى فى الجنة أصلح لهم من تعريضهم للتكاليف بدار الدنيا (وما يقاسون من الأكدار) أى المكدرات واللوازم الثلاثة باطلة بالمشاهدة فلزومها باطل وهو وجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى

(إن قيل زادهم بذلك) أى المذكور من خلقهم فى الدنيا وتكليفهم فيها (أجرا لهم على قدر العناء) وهو التعب (أجرى) على قدر العناء

(قلنا) معشر أهل السنة جوابا عن هذا الرد (الإله قادر أن يوصله) أى الأجر (إليهم دون أمور معضلة) أى متعبة

(وأيضا) أى ونرد على المعتزلة فنقول للشخص (الذى على الكفر هلك تكليفه) أى تكليف الله له (به إلى ضير) أى عذاب (سلك) فما هو الصلاح الذى حصل له

بَلْ خَلَقَهُ إِنْ عَاشَ خِدْنَ الْبُوسِ ... إِذْ هُوَ فِي الدَّارَيْنِ ذُو الْعُبُوسِ
فَأَيْنَ مَا مِنَ الصَّلَاحِ يُدَّعَى ... لَهُ وَذَا أَنْفَ اعْتِزَالٍ جَدَّعَا
وَقِصَّةُ الشَّيْخِ مَعَ الْجُبَّائِي ... تَرُدُّ قَوْلَ الْكَاذِبِ الْآبَائِي

(بل خلقه) أى خلق الله الكافر (إن عاش خدن) اى ملازم (البوس) أى الفقر الشديد يبطل قول المعتزلة أنه يجب على الله الصلاح والأصلح لعباده (اذ هو) أى الكافر (فى الدارين) أى الدنيا والآخرة (ذو العبوس) أى الحزن

(فاين مامن الصلاح يدعى له) أى الكافر (وذا) أى المذكور من خلق الكافر الذى علم هلاكه كافرا وخلقه الكافر البائس (انف اعتزال) أى اعتقاد خلق العباد أفعالهم الاختيارية (جدعا) أى قطع

(وقصة الشيخ) أى الامام أبى الحسن على الأشعرى (مع الجبائى) أبى على كبير المعتزلة (ترد) أى تبطل (قول) المعتزلى (الكاذب الآبائى) أى شديد الامتناع من الرجوع عن الباطل إلى الحق وقصتهما أن أبا الحسن سأل الجبائى عن ثلاث مات أحدهم قبل بلوغه، وآخر مات بعد بلوغه كافرا. وآخر مات بعد بلوغه مؤمنا. فقال الجبائى: الصغير فى الجنة والمؤمن الكبير فى الدرجة العليا من الجنة والكبير الكافر فى النار. فقال أبو الحسن: ما للصغير قصرته عن الدرجة العليا؟ فقال الجبائى لأنه لم يعمل عمل الكبير فقال الشيخ من حجته على مذهبكم أن يقول يارب كان الأصلح لى إبقائى حيا حتى أصل إلى الدرجة العليا فقال الجبائى يقول الله علمت لو أبقيتك حتى تبلغ لكفر وكنت خالدا فى النار فالأصلح لك موتك صغيرا فقال الشيخ: يقول الكافر المعذب يارب كنت أرضى منك بادنى من مرتبة هذا الصبى فلم لم تمتنى صغيرا وقد علمت كفرى بعد بلوغى. فبهت الجبائى ولم يقدر أن يجيب بكلمة وقال: بك جنون فقال الشيخ: لا. بل وقف حمار الشيخ فى العقبة

وَمَا اعْتَرَى الأَطْفَالَ مِنْ آلاَمِ ... يَقْضِى لِأَهْلِ السُّنَّةِ الأَعْلاَمِ
وَالْحَقُّ لاَ يَخْفَى عَلَى ذِى عَيْنِ ... وَاللهَ نَرْجُو عِصْمَةً مِنْ مَيْنِ

(فصل فى الرؤية)

وَرُؤْيَةُ الإِلٰهِ بِالأَبْصَارِ ... تَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ الاسْتِبْصَارِ
دُونَ تَقَابُلٍ أَوِ اتِّصَالِ ... بَلْ بِالَّذِى يَلِيقُ بِالْجَلاَلِ
وَأَهْلُ الاعْتِزَالِ وَالضَّلاَلِ ... قَضَوْا بِأَنَّهَا مِنَ الْمُحَالِ

(وما اعترى) أى أصاب (الأطفال من آلام) أى أمراض (يقضى) أى يحكم (لأهل السنة) بأن مذهبهم الحق (الأعلام) أى كالجبال فى الظهور فلزم على مذهب المعتزلة أن أمراضهم ظلم وأن لهم الحجة على الله واللازم باطل فمذهب المعتزلة باطل

(والحق) وهو أن الأفعال كلها بمحض اختيار الله وانها اما فضل واما عدل (لا يخفى على ذى عين) أى على ذى بصيرة (والله نرجو عصمة) أى حفظا (من مين) أى كذب وخطأ فى الاعتقاد والأفعال والأقوال

﴿ فصل فى الرؤية ﴾

(ورؤية الإله) أى الله سبحانه وتعالى (بالأبصار تجوز عند أهل الاستبصار) أى البصائر

(دون تقابل) بين الله وبين من رآه (واتصال) ودون اتصال الاشعة المنفصلة من بصر من رآه (بل الذى يليق) أى يصح (بالجلال) بعظمة الله من نفى الكيف والشبه والانحصار والصغر والكبر والقرب والبعد والجهة لأن الرؤية إدراك فكما يعلم يرى ولا يعلم كنه حقيقتها لنافى الدنيا والايمان بها واجب لقوله عز وجل « وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة » وهى خاصة بأهل الجنة وأما أهل النار فلا يرون الله لقوله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ولأنها اكرام وهم ليسوا أهلا للاكرام

(وأهل الاعتزال والضلال قضوا) أى حكموا (بأنها) بأن الرؤية (من المحال) فى حق الله تعالى

إذْ فَسَّرُوا الرُّؤْيَةُ بالشُّعاعِ ··· وَذَاكَ فى ذا البَابِ ذُو امْتِنَاعِ
وَإِنَّمَا الرُّؤْيَة مَعْنًى خُلِقَا ··· فى الشَّيءِ بالْمَرْئِيِّ قَد تَعَلَّقَا
وَكَوْنُ مُوسَى سَأَلَ الجَلِيلَا ··· فى أَمْرِهَا غَدَا لَنَا دَلِيلَا
إذْ مِثْلُهُ لا يَجْهَلُ الْمُحَالَا ··· فى حَقِّ مَنْ كَلَّمَهُ تَعَالَى
وَقَدْ رَأَى خَيْرُ الْوَرَى الدَّيَّانَا ··· لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ بِهِ عِيَانَا
فى الْمَذْهَبِ الْمُصَحَّحِ الْمَشْهُورِ ··· وَهْوَ الَّذِى يُنْمَى إِلَى الْجُمْهُورِ

(إذا فسروا) أهل الاعتزال (الرؤية بالشعاع) باتصال الشعاع المنفصل من عين الرائى بالمرئى (وذاك) أى اتصال الشعاع (فى ذا الباب) فى رؤية الله (ذو امتناع) أى استحالة

(وإنما الرؤية) عند أهل السنة (معنى خلقا فى الشىء) الرائى (بالمرئى قد تعلقا) أى المعنى ولا يشترط فيه عقلا عند اهل السنة اتصال شعاع ولا مقابلته ولا قربه ولا جهته وإنما هذه أمور عادية يجوز تخلفها ووقوع الرؤية بدونها كما وقع علمنا به إذ كل منهما إدراك

(وكون موسى) رسول الله صلى الله عليه وسلم (سأل) الله (الجليلا) أى العظيم (فى أمرها) فى شأن الرؤية بقوله : « رب أرنى أنظر اليك » (غــدا) صار سؤال موسى صلى الله عليه وسلم (لنا) معاشر أهل السنة (دليــلا) على جوازها عقلا .

(إذ مثله) ﷺ فى العلم بالله (لا يجهل المحالا) الشيء المحال (فى حق من كلمه) ﷺ (تعالى) تنزه عن كل مالا يليق به .

(وقد رأى خير) أفضل (الورى) العالمين وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (الديانا) أى الله (ليلة الاسراء) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات (به عيانا) أى مشاهدة .

(فى المذهب المصحح المشهور) وهو قول ابن عباس وأنس وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم (وهوالذى ينمى) ينسب (إلى الجمهور) أكثر العلماء

وَالْمُؤْمِنُونَ خَصَّهُمْ فِى الْآخِرَهْ ... بِهَا مُنِيلُهُمْ مَزَايَا فَاخِرَهْ
كَمَا أَتَى عَنْ صَاحِبِ السِّيَادَهْ ... فَالْجَنَّةُ الْحُسْنَى وَذِى الزِّيَادَهْ
وَكَمْ أَحَادِيثَ بِهَا صَرِيحَهْ ... مَرْوِيَّةٌ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَهْ
كَقَوْلِهِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَا ... وَقَبْلَ هٰذَا سَتَرَوْنَ الْخَبَرَا
وَوَجْهُ ذَا التَّشْبِيهِ دُونَ مِرْيَهْ ... نَفْىُ تَزَاحُمٍ بِحَالِ الرُّؤْيَهْ
لَا أَنَّهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ أَشْبَهَهْ ... جَلَّ الْإِلٰهُ أَنْ يَكُونَ فِى جِهَهْ

(والمؤمنون خصهم) الله (فى الآخرة) برؤيته لقوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة» (بها) برؤيته دون الكافرين (منيلهم) معطيهم (مزايا) عطايا (فاخرة) عظيمة

(كما أتى عن صاحب السيادة) وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فالجنة الحسنى) فى تفسير قوله تعالى «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» (وذى الزيادة) هى رؤية الله تعالى(١)

(وكم أحاديث بها صريحة) برؤية الله فى الآخرة (مروية من طرق صحيحة) أى الأحاديث.

(كقوله) أى الرسول صلى الله عليه وسلم (كما ترون القمرا وقبل هذا سترون الخبرا) أى الحديث الذى فى الصحيحين (٢) انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر

(ووجه ذا التشبيه) لرؤية الله برؤية القمر (دون مرية) أى شك (نفى) عدم (تزاحم) بين الرائين (بحال الرؤية) فى حال رؤية الله.

(لا أنه) أى الله (من كل وجه أشبه) أشبه القمر (جل الاله أن يكون فى جهة) من الجهات الست أو جسما أو غير ذلك من صفات الحوادث.

(١) ورد ذلك فى صحيح مسلم من حديث صهيب رضى الله عنه. وورد من حديث غيره أيضا (٢) من حديث جرير البجلى. والأحاديث فى الرؤية متواترة كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ النقاد.

﴿ فصل فى أحكام الرسالة والنبوة ﴾

وَبِعْثَةُ الرُّسْلِ إِلَيْنَا جَائِزَهْ فِى حَقِّهِ وَكُلُّ خَيْرٍ حَائِزَهْ

كَىْ يُبَلِّغُونَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهْ فَمَنْ أَجَابَهُمْ غَدَا ذَا نُهْيَهْ

وَمَنْ أَبَى فَسَاقِطٌ فِى هُوَّهْ وَمَا بِكَسْبٍ تُدْرَكُ النُّبُوَّهْ

وَلاَ بِحِيلَةٍ أَوْ ارْتِيَاضِ لٰكِنْ بِفَضْلِ ذِى النَّدَى الْفَيَّاضِ

يَخُصُّ مَنْ أَرَادَ بِالْعِنَايَهْ وَبِالرِّسَالَةِ أَوْ الْوِلاَيَهْ

﴿ فصل فى أحكام الرسالة والنبوة ﴾

(وبعثة) إرسال (الرسل) والرسول رجل حر من بنى آدم أوحى اليه بشرع وأمره بتبليغه (الينا) معشر المكلفين (جائزة) عقلا (فى حقه) أى الله خلافا لمن أوجبها كالمعتزلة بناء على قاعدتهم الفاسدة وهى وجوب الصلاح والأصلح على الله (وكل خير) دنيوى أو أخروى (حائزة) جامعة .

(كى يبلغونا) أى الرسل (أمره) وهو طلب الله الفعل من العبد (ونهيه) وهو طلب الترك من العبد (فمن أجابهم) أى الرسل فى امتثال ما أمروا به وترك ما نهوا عنه (غدا) صار (ذا نهيه) صاحب عقل .

(ومن أبى) امتنع عن اجابة الرسل (فساقط فى هوة) هاوية ونار حامية (ومابكسب تدرك) تنال (النبوة) بل بفضل الله يهبها من يشاء من عباده

(ولا بحيلة أو ارتياض) تهذيب النفس بالصلاة والصيام وغير ذلك من أنواع العبادات (لكن) تدرك (بفضـــل) الله (ذى الندى) أى العطاء (الفياض) الكثير .

(يخص) الله (من أراد) الله نبوته (بالعنـــاية) أى الاعانة والتوفيق (وبالرسالة أو الولاية) يخص الله بهما من أراد .

وَهُوَ أَيِ الرَّسُولُ إِنْسَانٌ ذَكَرْ ... أُوحِي لَهُ مَنْ لَمْ تُكَيِّفْهُ الفِكَرْ
وَقَالَ بَالِغٌ مَنْ بُعِثَتْ فِيهِمْ ... حُكْماً دُعُوا إِلَيْهِ يَقْتَفِيهِمْ
وَإِنْ يَكُ الوَحْيُ بِحُكْمٍ قُصِرَا ... عَلَيْهِ فَالنَّبِيُّ فِيمَا شُهِرَا

﴿ فصل فيما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز ﴾

وَصِدْقُ رُسْلٍ وَاجِبٌ فِي كُلِّ مَا ... قَالُوا فَكُنْ لِصِدْقِهِمْ مُسَلِّمَا
وَالْكَذِبَ اعْدُدْهُ مِنَ الْمُحَالِ ... فِي جَانِبِ الرُّسْلِ بِكُلِّ حَالِ
لِأَنَّهُ يُفْضِي لِوَصْفِ الْبَارِي ... سُبْحَانَهُ بِالْخُلْفِ فِي الأَخْبَارِ

(وهو أى الرسول) الذى أرسل لتبليغ العباد الرسالة (إنسان) لا ملك (ذكر) لا أنثى (أوحى) أوصل (له) شرعا بواسطة الملك (من لم تكيفه) أى تدرك كنهه (الفكر) العقول وهو الله .

(وقال) الله للرسول (بالغ من بعثت فيهم) من العباد (حكما دعوا اليه) أى الحكم (يقتفيهم) يتبعهم ويتعلق بهم .

(وان يك الوحى) أى النبى (بحكم قصرا عليه فالنبى فيما شهرا) فذاك النبى فى القول المشهور .

﴿ فصل فيما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز ﴾

(وصدق رسل) وهو مطابقة خبرهم للواقع (واجب فى كل ما قالوا) أى الرسل (فكن لصدقهم مسلما) غير معارض فى صدقهم لانهم صادقون فيما يخبرون به عن الله .

(والكذب) وهو عدم مطابقة خبرهم للواقع (اعدده من المحال) لا يصدق العقل بوجوده (فى جانب الرسل بكل حال) من أقوالهم فى الرضا والغضب والصحة والمرض .

(لأنه) أى الكذب من الرسل (يفضى) يؤدى (لوصف) الله (البارى) الخالق للعالم (سبحانه بالخلف) أى الكذب (فى الأخبار) وخلفه محال

مِنْ أَجْلِ تَصْدِيقٍ لَهُمْ بِالْمُعْجِزَهْ عَاضِدَةً لِمَا ادَّعَوْهُ مُنْجِزَهْ
وَهْوَ كَقَوْلِ اللهِ هٰذَا الْعَبْدُ يَصْدُقُ فِيمَا مِنْهُ عَنَّا يَبْدُو
وَكُلُّ مَنْ صَدَّقَ كَاذِبًا نُمِي لِلْكَذِبِ الَّذِى بِهِ ذَاكَ رُمِي
وَهْوَ أَىْ الْكِذْبُ مُسْتَحِيلُ فِى حَقِّ رَبٍّ وَصْفُهُ جَلِيلُ
لِأَنَّهُ يُخْبِرُ وَفْقَ عِلْمِهِ وَذَاكَ صِدْقٌ ثَابِتٌ فِى حُكْمِهِ
وَوَاجِبٌ أَمَانَةٌ أَىْ عِصْمَهْ لِلرُّسْلِ جَلَّ قَدْرُهُمْ عَنْ وَصْمَهْ

وكذب الرسل محال .

(من أجل تصديق) من الله (لهم) للرسل (بالمعجزة) وهى الشىء الخارق للعادة المتحدى به لدعوى الرسالة (عاضدة) مقوية (لما ادعوه) أى الرسل (منجزة) منفذة عضية .

(وهو) تصديق الرسل بالمعجزة (كقول الله هذا العبد) الذى أرسلناه لكم (يصدق فيما) فى القول الذى (منه عنا يبدو) يظهر .

(وكل من صدق كاذبا نمى) نسب (للكذب الذى به ذاك رمى) أى الكاذب .

(وهو أى الكذب مستحيل) لا يصدق العقل بوجوده (فى حق رب وصفه جليل) أى عظيم .

(لأنه) أى الرب (يخبر) عن الشىء (وفق علمه) أى الرب (وذاك صدق ثابت فى حكمه) أى إخباره وفق علمه

(وواجب أمانة أى عصمة (١) للرسل) أى حفظ الله جميع جوارحهم من فعل ما نهاهم عنه فلا تقع منهم كبيرة ولا صغيرة لا عمدا ولا سهوا قبل النبوة ولا بعدها (جل قدرهم) أى الرسل (عن وصمة) أى عيب

---

(١) وهى ملكة راسخة فى النفس تمنع من اتصف بها من الوقوع فى المعصية وهى خاصة بالأنبياء ، والملائكة أيضا على الراجح دون غيرهم

وَيَسْتَحِيلُ مِنْهُمْ ارْتِكَابُ ذِي	نَهيٍ وَقَوْلَ ذِي الضَّلَالَةِ انْبُذِي
وَلَوْ فَرَضْنَا مِنْهُمُ إِيقَاعَهْ	لاَ نْقَلَبَ الْمَنْهِيُّ عَيْنَ الطَّاعَهْ
لِأَمْرِ رَبِّنَا بِالِاقْتِدَا بِهِمْ	فِي غَيْرِ مَقْصُورٍ عَلَى جَنَابِهِمْ
وَاللهُ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَا فَلاَ	يَأْتُونَ غَيْرَ طَاعَةٍ كَمَا انْجَلَا
وَأَوَّلَنْ بِلَائِقٍ مَا اشْتَبَهَا	كَمَا أَتَى فِي يُوسُفٍ هَمَّ بِهَا

(ويستحيل منهم) أى الرسل (ارتكاب ذى نهى) سواء كان تحريم أو كراهة (وقول ذى الضلالة انبذى) اطرح قول صاحب الضلالة القائل بجواز المعصية فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

(ولو فرضنا) قدرنا (منهم) أى الرسل (إيقاعه) المنهى عنه (لانقلب المنهى عين الطاعة) أى لكان المنهى عنه طاعة

(لأمر ربنا) للعباد (بالاقتدا بهم) أى الرسل قال الله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » . وقال « فبهداهم اقتده » وقال « واتبعوه لعلكم تهتدون (فى غير مقصور على جنابهم) أى الرسل فللرسل أشياء خصوا بها دون أممهم فما خص به نبينا محمد ﷺ حرمة الصدقة عليه وإباحة أكثر من أربع زوجات

(والله لا يأمر بالفحشاء) لا يأمر عباده بفعل ما نهى عنه قال تعالى (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) (فلا يأتون) أى الرسل (غير طاعة كما انجلا) اتضح

(وأولن بلائق) أى من جائز فى حق الرسل (ما اشتبها) خفى موهما المعصية فى حقهم إذا ورد فى القرآن أو الحديث (كما أتى فى يوسف) فى قصة يوسف من قوله (هم) أى يوسف (بها) بامرأة العزيز بأن فى الكلام تقديما وتأخيرا فيقال(١) لولا أن رأى برهان ربه هم بها أو همت به وهم بزجرها

(١) هذا وجه ضعيف عربية ومعنى ، وكذا الذى بعده والصواب ان يوسف هم بها . تحقيقا لمعنى الذكورية لكنه لم يعزم على المعصية لمكان العصمة والممنوع فى حق الأنبياء إنما هو المعصية أو العزم عليها — أما الهم — وهو دون العزم فلا مانع من وقوعه منهم . هذا أصح ما يقال فى قصة يوسف عليه =

وَكَوْنُ وَالِدِ الْوَرَى قَدْ أَكَلاَ ... وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا أَشْكَلاَ

وَقُلْ إِذَا اسْتَدْلَلْتَ لِلتَّبْلِيغِ ... لَوْ كَتَمُوا لَكَانَ ذَا تَسْوِيغِ

فَيَكْتُمُ الْمَرْءُ الْعُلُومَ النَّافِعَهْ ... عَنْ طَالِبٍ لَهَا وَيَغْدُو مَانِعَهْ

كَيْفَ وَقَدْ بَاءَ ذَوُو الْكِتْمَانِ ... لِلرُّشْدِ بِاللَّعْنَةِ فِي الْقُرْآنِ

وَالْمُصْطَفَى الْمُعْجِزُ كُلَّ الْفُصَحَا ... أَدَّى الرِّسَالَةَ وَكُلاًّ نَصَحَا

(وكون والد الورى) وهو أبونا آدم ﷺ (قد أكلا) من الشجرة بعد النهى عن الأكل منها فيؤول ، وما أوهم فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز النطق به فى غير مورده إلا للبيان (وما سوى ذلك مما أشكلا) خفى ظاهره كقصة ابراهيم وموسى وداود وسليمان ويونس فكل ذلك ظاهره غير مراد قطعا فهو مؤول بما يجوز فى حقهم

(وقل إذا استدللت) أردت الاستدلال (للتبليغ) لوجوب تبليغ الرسل عليهم الصلاة والسلام (لو كتموا) ما أمروا بتبليغه (لكان ذا تسويغ) أى تجويز لكتم الناس العلوم النافعة لكن كتمها لا يسوغ فكتمهم محال فوجب تبليغهم

(فيكتم المرء العلوم النافعة) فى الدنيا والآخرة (عن طالب لها ويغدو مانعه) أى طالب العلوم النافعة ولا يكون آثما بمنعه لاقتدائه بالرسل عليهم الصلاة والسلام

(كيف وقد باء) أى رجع (ذوو الكتمان للرشد) أى أصحاب الكتمان للعلوم النافعة (باللعنة) أى الطرد عن الرحمة (فى القرآن) فى قوله . (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)

(والمصطفى) وهو سيدنا محمد ﷺ الذى اختاره الله وفضله على سائر خلقه (المعجز) المثبت عجز (كل الفصحا أدى) بلغ (الرسالة) وهى الاحكام الشرعية التى أمره الله بتبليغها (وكلا) من المرسل إليهم (نصحا) المصطفى ﷺ

= السلام ، وأما آدم عليه السلام فقد أخبر الله عنه أنه نسى حيث قال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) ولله أن يؤاخذ عبده بالنسيان كما يؤاخذه بالتعمد . على أن النسيان إنما رفع عن هذه الأمة إكراما لنبيها ، ولم يثبت رفع المؤاخذة به عن الأمم السابقة

وَاقْتَضَتْ الْآيَاتُ فِى الْكِتَابِ تَبْلِيغَهُ وَالنَّفْىَ لِلْعِتَابِ

فَاللهُ يَجْزِيهِ أَجَلَّ مَا بِهِ جَازَى نَبِيًّا ذَا مَقَامٍ نَابِهِ

(فصل فيما يجوز فى حق الرسل)

وَغَيْرُ قَادِحٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ فِى حَقِّهِمْ يَجُوزُ كَالْأَمْرَاضِ

لِلْأَجْرِ وَالتَّشْرِيعِ وَالتَّخَلِّى عَنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا أَوِ التَّسَلِّى

إِذْ خِيرَةُ الْعِبَادِ عَنْهَا أَعْرَضُوا وَرَبَّهُمْ قَرْضاً جَمِيلاً أَقْرَضُوا

(واقتضت الآيات فى الكتاب تبليغه) أى المصطفى ﷺ ما أمره الله بتبليغه (والنفى للعتاب) كقوله: (فتول عنهم فما أنت بملوم) وقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم)

(فالله يجزيه أجل) أعظم (ما به جازى) أى الله (نبيا ذا مقام) شرف (نابه) عال مرتفع

﴿فصل فيما يجوز فى حق الرسل﴾

(وغير قادح من الاعراض فى حقهم يجوز) أى يجوز فى حق الرسل الاعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص (كالامراض) الخفيفة كالحمى. وأما الاعراض القادحة كالعمى والجنون والجذام والبرص أو ما ينفر الناس منهم كالرائحة الكريهة أو سوء الخلق فكلها محال فى حقهم وكذلك الحرف الدنيئة كأن يكون حجاما أو كناسا وأما الحرف التى لا قدح فيها كالبيع والشراء والحراثة فجائزة فى حقهم

(للاجر) يمرض الله الرسل للاجر وعلى قدر المرض يكون الأجر (والتشريع) وهو تبيين الشرائع لأممهم من صلاة وصيام وغير ذلك (والتخلى) أى التباعد (عن زهرة الدنيا) أى زينتها (أو التسلى) أى التصبر.

(إذ خيرة) أفضل (العباد عنها أعرضوا) أى الدنيا (وربهم قرضاً جميلا أقرضوا) قال الله من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

وَاللهُ لَمْ يُرِدْ لِأَنْبِيَائِهِ	بِهَا جَـــزَاءً وَلِأَوْلِيَائِهِ
فَيَحْصُلُ الزُّهْدُ مِنَ الْأَنَامِ	فِي عَيْشِهَا الذَّاهِبِ كَالْمَنَامِ
فَكُلُّ مَنْ أُمِدَّ بِالتَّوْفِيقِ	مِمَّنْ رَأَى بِأَعْيُنِ التَّحْقِيقِ
يَعْلَمُ قَطْعاً أَنَّهَا خَسِيسَةٌ	وَيَحْذَرُ التَّمْوِيهَ وَالدَّسِيسَهْ
وَلَمْ يَفُزْ مِنْهَا سِوَى مَنِ ادَّخَرْ	أَعْمَالَ طَاعَةٍ بِهَا قَدِ افْتَخَرْ
وَهِيَ خَرَابٌ مَا بِهَا إِقَامَهْ	وَاللهُ نَرْجُو حُسْنَ الِاسْتِقَامَهْ

(والله لم يرد لأنبيائه بها جزاء) أى الدنيا (ولأوليائه) بل أعد لهم الجزاء فى دار البقاء وأما الدنيا فانها لا تزن عند الله جناح بعوضة فكيف تكون دار جزاء لصفوة الله من خلقه وهم الأولياء والأنبياء .

(فيحصل الزهد) وهو عدم الرغبة (من الأنام فى عيشها الذاهب) أى الفانى (كالمنام) أى المرئى فى النوم .

(فكل من أمد) أنعم الله عليه (بالتوفيق) وهو خلق القدرة على الطاعة (ممن رأى بأعين التحقيق) وهو إدراك الشىء على الوجه الحق الواقـــع فى نفس الامر .

(يعلم قطعا أنها خسيسة) أى حقيرة فلذا لم يرضها الله دار جزاء لأنبيائه وأوليائه لأنهم صفوة الله من خلقه ومن اصطفاه الله يجازيه بأنفس الأشياء وأنفس الأشياء النظر إلى جلال الله والخلود فى الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها جرعة ماء (١) (ويحذر التمويه) وهو ماجمل ظاهره وقبح باطنه إذا فحصته (والدسيسة) المضرة المدسوسة .

(ولم يفز منها سوى من ادخر) اقتنى (أعمال طاعة بها قد افتخر) بجزائها فى الآخرة

(وهى خراب ما بها إقامة) أى سكنى دائمة (والله نرجو حسن الاستقامة) أى التوفيق فى هذه الدار الفانية

---

(١) رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد بقريب من لفظه

فصل فى عدد الرسل

وَعِدَّةُ الرُّسْلِ الْكِرَامِ الْكُمَّلِ ... فِى اسْمِ مُحَمَّدٍ بَدَتْ بِالْجُمَّلِ
مِيمٌ وَحَاءٌ ثُمَّ مِيمٌ كُرِّرَتْ ... وَبَعْدَهَا دَالٌ كَمَا قَدْ قُرِّرَتْ
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَبِّهِ مُؤَيَّدُ ... بِمُعْجِزَاتٍ لاَ تَنَالُهَا الْيَدُ
قَدْ قَارَنَتْ دَعْوَاهُمُ الرِّسَالَةَ ... مَعَ التَّحَدِّى لَفْظاً أَوْ بِالْحَالَةِ
وَمُعْجِزَاتُ الْمُصْطَفَى الْكَثِيرَهْ ... دَلَّتْ عَلَى رُتْبَتِهِ الأَثِيرَهْ

﴿ فصل فى عدد الرسل ﴾

(وعدة الرسل الكرام الكمل) الذين كملهم الله بمكارم الاخلاق وحسن الافعال (فى اسم محمد بدت بالجمل) بحساب الجمل

(ميم) وحسابه بالجمل تسعون (وحاء) وحسابه عشرة (ثم ميم كررت) بالتضعيف وحسابهما مائة وثمانون (وبعدها دال) وحسابه بالجمل خمسة وثلاثون وجملة ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر أولهم أبونا آدم عليهم الصلاة والسلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ختم الله به الرسالة (كما قد قررت) أى عدة الرسل عليهم الصلاة والسلام

(وكلهم من ربه مؤيد) أى مقوى (بمعجزات) بأمور خارقة للعادة مقارنة لدعوى الرسالة مطلوب معارضتهم (لا تنالها اليد) القدرة الحادثة

(قد قارنت) أى المعجزات (دعواهم) أى الرسل (الرسالة) الارسال من الله (مع التحدى) وهو طلب المعارضة (لفظاً) بأن يقول هذه معجزتى فأتوا بمثلها فالمعجزة شىء خارق للعادة يظهره الله على يد رسوله (أو بالحالة) أى الحالة الحاصلة للرسول بأن يقول هذه معجزتى وتدل حاله على طلب معارضته

(ومعجزات المصطفى الكثيرة) التى لا تحصر فان احداها وهو القرآن لاتحصى المعجزات التى اشتمل عليها فيكف يحصى جميعها (دلت على رتبته الاثيرة) أى التى استأثر بها عن جميع المرسلين عليهم الصلاة والسلام

لِأَنَّ مُعْجِزَةَ غَيْرِهِ انْقَضَتْ   بِعَصْرِهِمْ كَمَا مَشِيئَةٌ قَضَتْ
وَبَعْضُ مُعْجِزَاتِ طَهَ بَاقِ   لِأَنَّهُ الْحَائِزُ لِلسَّبَاقِ
فَكَمْ وَكَمْ آيٍ بِهَا تَحَدَّى   إِحْصَاؤُهَا بِالْعَدِّ فَاقَ الْحَدَّا

فصل فى إعجاز القرآن

وَحَسْبُكَ الْقُرْآنُ ذُو الآيَاتِ   وَحِفْظُهُ لِآخِرِ الْغَايَاتِ

(لأن معجزة غيره انقضت بعصرهم) أى زمنهم (كما مشيئة) أى إرادة (قضت) حكمت وخصصت

(وبعض معجزاته طه باق) بعد انقضاء عصره مستمر على مر الدهور مشاهد فى كل عصر ولكل قوم وهو القرآن العظيم (لأنه الحائز) أى الآخذ «للسباق» أى المتسابق إليه

(«فكم وكم» آى بها تحدى) استدل على صدق دعواه الرسالة وطلب معارضتها فلم يقدر أحد على معارضتها ولا على أن يأتى بمثلها ولن يستطيع قال الله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) «احصاؤها بالعد فاق» جاوز (الحدا) وقد ألف العلماء فى معجزاته فلم ينتهوا إلى غايتها ولم يحصها إلا الذى أيده وأكرمه بها .

﴿ فصل فى اعجاز القرآن ﴾

(وحسبك) يكفيك (القرآن ذو الآيات) أى المعجزات الكثيرة وهو وحى الله الذى أنزله على سيدنا محمد ﷺ للاعجاز بسورة منه فعجزوا عن معارضته والاتيان بمثله من ذلك الوقت إلى يومنا هذا يقرع اسماع الخلق مؤمنهم وكافرهم انسهم وجنهم فى جميع أقطار الأرض مع كثرة الأعداء والحساد وأهل التمويه والعناد وكثرة أهل الطعن فى الدين والالحاد فلايشك عاقل انه من عند الله صدق به سيدنا محمداً ﷺ (وحفظه) أى القرآن من التبديل والتغيير قال الله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (لآخر الغايات) إلى

فَهوَ لِوَعْدِ الحَقِّ ذُو انجَازِ ... وَفِيهِ أَنوَاعٌ مِنَ الاعْجَازِ
كَنَظْمِهِ البَدِيعِ فى أُسلُوبِهِ ... وَعَجز مَنْ بَارَاهُ عَنْ مَطْلُوبِهِ
وَالجَمْعِ لِلعُلُومِ وَالأَسْرَارِ ... وَكَوْنِهِ يَحْلُو مَعَ التِّكْرَارِ
وَفِى الجزَالَةِ بوَجْهٍ أَعْلَى ... وَالرَّوعِ فى القُلُوبِ حِينَ يُتْلى
وَمَا احتَوَى عَلَيْهِ مِنْ أَنبَاء ... غَيْبٍ بتَصْرِيحٍ وَبالإِيمَاءِ
وَفِيهِ مِنْ هٰذَا أُمُورٌ تَكْثُرُ ... والبعض بالفيض عليها يعثر

قرب قيام الساعة لأنه ورد أنه سيرفع ورفعه من علامات قيام الساعة

(فهو لوعد الحق) أى الله بحفظه (ذو انجاز) يعنى أن الله وعد بحفظه وأنجز وعده (وفيه أنواع من الاعجاز) أى بيان عجز من يعارض تلك الأنواع

(كنظمه البديع) الذى لامثيل له (فى أسلوبه) أى طريقة المخالفة طريق العرب فى نثرها وسجعها (وعجز من باراه) طلب معارضته (عن مطلوبه) أى مباراته وقد اعترف بذلك فصحائهم وبلغاؤهم

(والجمع للعلوم والأسرار) الدينية والاخروية لأنه أصل المعارف الدينية والاخلاق المحمدية والآداب الشرعية (وكونه يحلو مع التكرار) بل كثرة تكراره تزيد حلاوة بخلاف غيره من الكلام .

(وفى الجزالة) أى البلاغة والدلالة على المعنى مع قلة حروفه وتناسب مخارجها (بوجه أعلى) خارج عن مقدور البشر (والروع) أى الخوف والهيبة والخشوع (فى القلوب حين يتلى) قال الله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) .

(وما احتوى) أى اشتمل القرآن (عليه من أنباء غيب) أى شىء غائب ماض أو مستقبل (بتصريح وبالايماء) أى الاشارة

(وفيه من هذا) أى الانباء بالغيب (أمور تكثر) كثيرة (والبعض) من الناس (بالفيض) أى الانعام من الله (عليها) أى الامور الغائبة (يعثر) أى يطلع .

ومنه مَا ابْنُ بَرَّجَانَ أَظْهَرْ فِي أَخْذِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ الْمُطَهَّرْ
مِنْ قَوْلِهِ بِضْعَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ كَانَ طَبْقاً فِي الزَّمَنْ

(ومنه) أى ما عثر عليه بالفيض (ما ابن برجان اظهر في أخذ) الروم (بيت المقدس المطهر) من المسلمين أخذه (من قوله) أى لله (بضع سنين قبل ان يكون) أى أخذ الروم بيت المقدس

(ثم كان) أى وجد (طبقا) أى مطابقا (وفى الزمن) ذكر ابن برجان فى تفسير سورة الروم أن الروم يتغلبون على بيت المقدس ويبقى بأيديهم إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم يخرجون منه ويبقى للمسلمين إلى آخر الدنيا أخذه من حساب قول الله بضع سنين بالجمل وأضاف إلى ذلك معنى البضع فى كلام العرب وذلك ان الباء اثنان والضاد تسعون والعين سبعون والسين ثلاثمائة والنون خمسون والياء عشرة والنون خمسون ومجموع ذلك اثنتان وسبعون وخمسمائة(١) وزاد عليه معنى البضع من ثلاثة إلى تسعة لكن جعله عشرة فصار اثنتين وثمانين وخمسمائة وهى غاية غلبة الروم على بيت المقدس وانتزعها المسلمون منهم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ،فكان كذلك . أخذ الروم بيت المقدس سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بعد حصارها شهراً ونصفا وقتلوا بها أكثر من سبعين الفا من العلماء والعباد ثم أخذها منهم صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

---

(١) طريقة استخراج المعانى بحساب الجمل ليست طريقة علمية وان اعتمدها ابن جرير والسهيلى فى بعض الحوادث التى قد تصدق على سبيل المصادفة ، وأصل هذه الطريقة مأخوذة عن اليهود فهم الذين كانوا يستعملونها ويعتمدون عليها وعنهم أخذها بعض علماء المسلمين ، والبهائية لعنهم الله يكثرون استعمالها أيضا ويستخرجون من القرآن بحساب الجمل ما يزعمون أنه يشير إلى دينهم الجديد الذى يعتبرونه ناسخا للاسلام ، والقرآن أعلى وأجل من ان يستعمل فى مثل هذه الرموز والاشارات التى لا تمت إلى العلم بصلة

وَبَعْضُهُم فِى وجْهِ إعْجازِهِ نَحَا ... لِرَدِّ بَعْضٍ وَسِوَاهُ رَجَّحَا
وَاخْتَلَفُوا هَلْ كَانَ فِى طَوْقِ الْبَشَرْ ... مِنْ قَبْلُ لَكِنْ صُرِفُوا كَمَا انْتَشَرْ
أَوْ لَمْ يَكُنْ فِى طَوْقِهِمْ وَصُحِّحَا ... وَالْبَحْثُ فِى ذَاكَ يَطُولُ شَرْحَاً
وَأَخْبَرَ اللهُ بِعَجْزِ الإِنْسِ ... والجِنِّ عَنْ إِتْيَانِهِمْ بِالْجِنْسِ

(وبعضهم) أى العلماء (فى وجه اعجازه) أى القرآن (نحا) مال (لرد بعض) من الوجوه التى قالها غيره فى وجه اعجازه (وسواه رجحا) يعنى أن العلماء اتفقوا على اعجاز القرآن واختلفوا فى وجهه وصار كل واحد منهم يرد قول غيره ويرجح قولا آخر فقال بعضهم وجهه فصاحته وجزالته وقال بعضهم عدم مناقضة آياته وتصديق بعضها بعضاً وقال بعضهم : اخباره عن المغيبات الماضية والمستقبلة وقال بعضهم بل قدمه وقال بعضهم : بل كونه عبارة عن الكلام القديم (١)

(واختلفوا هل كان فى طوق البشر) معارضة القرآن والاتيان بمثله (من قبل) أى قبل صرفهم عنه (لكن صرفوا) أى صرفهم الله عن معارضته والاتيان بمثله (كما انتشر) أى شاع

(أو لم يكن) الاتيان بمثله (فى طوقهم) أى البشر (وصححا) هذا القول القائل بأنه لم يكن فى طوقهم وضعف القول القائل بأنه فى طوقهم ولكن صرفوا عنه (والبحث فى ذاك) أى كون الاتيان بمثله لم يكن فى طوقهم أوكان وصرفوا عنه (يطول شرحا) أى يطول شرحه

(وأخبر الله) فى القرآن (بعجز الإنس والجن عن اتيانهم بالجنس) أى بجنس القرآن

---

(١) لخص القاضى عياض فى الشفا وجوه اعجاز القرآن تلخيصا حسنا جميلا تنبغى مراجعته . وللامام الخطابى (بيان اعجاز القرآن) نحن جادون فى اخراجه أعاننا الله على ذلك بمنه

مِنْ مِثْلِهِ وَطُولِبُوا بِسُورَهْ . فَمَا اسْتَطَاعُوا مِثْلَهَا ضَرُورَهْ
وَمَنْ لِجِلْبَابِ الْحَيَاءِ زَاحَا مُعَارِضاً لَهُ حَوَى افْتِضَاحَا
كَمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُسَيْلِمَهْ مِنْ تُرَّهَاتٍ بِاخْتِلَالٍ مُعْلِمَهْ
رَكِيكَةٍ فِي لَفْظِهَا وَالْمَعْنَى كَقَوْلِهِ وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنَاً
وَغَيْرِهِ مِمَّا انْتَحَاهُ الْأَبْلَهُ وَهُوَ بِنَوْعِ الْهَذَيَانِ أَشْبَهُ

(من مثله) أى القرآن فى البلاغة والجزالة (وطولبوا) أى الإنس والجن (بسورة) من مثله ولو اقصر سورة كالكوثر (فما استطاعوا مثلها ضرورة) فلم يستطيعوا ان يأتوابسورة من مثله ولن يستطيعوا قال الله : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)

(ومن لجلباب الحياء زاحا) أى أزال (معارضا له) أى القرآن (حوى) حاز (افتضاحا) لنفسه .

(كمثل ما جاء به مسيلمة) الكذاب لما ادعى النبوة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل عدو الله فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه (من ترهات) أى كلمات باطلة (باختلال) أى فساد عقل (معلمة) أى مشعرة .

(ركيكة) أى ثقيلة (فى لفظها والمعنى كقوله والطاحنات طحنا) والخابزات خبزا الثاردات ثرداً واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر . فى معارضة (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) .

(وغيره) أى ماذكر (مما انتحاه) أى اخترعه مسيلمة (الابله) الذى لا يعى ما يقول (وهو) أى القول الذى انتحاه مسيلمة (بنوع الهذيان)وهو القول الباطل الذى لافائدةفيه (أشبه) أشد شبها كقوله فى معارضة سورةالفيل :الفيل وما أدريك ماالفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل وإن ذلك فى خلقة ربنا

وَهَلْ يُقَاسُ ذَا بِإِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَمَا تَلَاهَا
وَأَيْنَ مَا هَذَى بِهِ فِى الضِّفْدَعِ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا تَعَالَى فَاصْدَعِ
أَجَارَنَا اللهُ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْغَىِّ فِى الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ

لقليل ، وكقوله فى معارضة سورة الكوثر : إنا أعطيناك العقعق فصل لربك وازعق إن شانئك هو الابلق (١) .

(وهل يقاس) أى يشابه ويماثل (ذا) أى هذيان مسيلمة (بإن الله يأمر بالعدل) بقول الله : إن الله يأمر بالعدل (وما تلاها) أى تبع الآية من قول الله (والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

(وأين) مقدار (ماهذى به فى الضفدع) من قوله ياضفدع بنت ضفدعين كم تنقنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين (من قول ربنا تعالى فاصدع) بما تؤمر وأعرض عن المشركين .

(أجارنا) حفظنا (الله من الخذلان) وهو خلق قدرة المعصية فينا (والغى) أى الضلال (فى الأسرار) أى الباطن (والاعلان) أى الظاهر

---

(١) ومن ذلك ما ذكره ابن كثير فى تفسيره ، قال : ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ ، وقبل أن يسلم عمرو ، فسأله مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم فى هذه المدة ؟ فقال : لقد أنزلت عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وماهى ؟ فقال (والعصر إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل على مثلها ، فقال له عمرو . وما هو ؟ فقال ياوبر ياوبر إنما أنت أذنان وصدر وسيرك حفر ونقر . ثم قال كيف ترى ياعمرو ؟ ! فقال له عمرو . والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب ، والوبر دويبة تشبه الأرنب . وأكلها حلال .

﴿ فصل فى السمعيات الأخروية والبرزخية والبعثية ﴾

وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الأَخْبَارِ ... عَنْ أَحْمَدَ الْمَخْصُوصِ بِالإِكْبَارِ
فَذَاكَ حَقٌّ كَائِنٌ لاَ يُمْتَرَى ... فِيهِ وَمَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى
مِثْلُ السُّؤَالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ... وَالْبَعْثِ لِلأَبْدَانِ يَوْمَ الْحَشْرِ
بِعَيْنِهَا لاَ مِثْلِهَا إِجْمَاعَا ... وَالاخْتِلاَفُ بَعْدَ هَذَا شَاعَا
هَلْ ذَاكَ عَنْ تَفْرِيقِ تِلْكَ الأَجْزَا ... أَوْ عَدَمٍ مَحْضٍ إِلَيْهَا يُعْزَى

(فصل فى السمعيات الأخروية والبرزخية والبعثية)

(وكل ماجاء من الاخبار عن أحمد المخصوص) أى الذى خصه الله (بالاكبار) أى التعظيم والتفضيل على سائر العالمين .

(فذاك) الذى جاء عن أحمد ﷺ (حق) أى ثابت (كائن لا يمترى فيه) أى لا يشك (وما كان) أى ما أخبر به سيدنا أحمد ﷺ من أحوال القبر وما بعده (حديثا يفترى) أى يكذب .

(مثل السؤال) أى من منكر ونكير للميت فى القبر (وعذاب القبر) أى عذاب الميت فى قبره أو تنعمه فيه (والبعث) أى الاحياء (للابدان) قال الله وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور (يوم الحشر) اى الجمع للحساب .

(بعينها) التى كانت فى الدنيا (لا مثلها إجماعا) وإلا لزم ان المثاب والمعذب غير الذى اطاع او عصى وهو باطل (والاختلاف) بين العلماء (بعد هذا شاعا) بعد الاتفاق على بعث الابدان .

(هل ذاك) أى بعث أبدان باعيانها يحصل (عن تفريق تلك الاجزا) أى الابدان (أو عدم) أو يحصل بعد عدم للابدان (محض إليها) أى الابدان (يعزى) أى ينسب

لَكِنَّ هَذَا بِاعْتِبَارِ مَا وَرَدْ ... وَالْكُلُّ فِي الْجَوَازِ بِالْعَقْلِ اطَّرَدْ
واسْتَثْنِ مِنْ ذَا الْخُلْفِ عَجْبَ الذَّنَبِ ... وَمَا أَتَتْ فِيهِ النُّصُوصُ كَالنَّبِي
واخْتَلَفُوا فِي عَوْدِ وَقْتٍ وَعَرَضْ ... وَبَعْضُهُم إِعَادَةَ الْوَقْتِ اعْتَرَضْ

(لكن هذا) أى الخلاف فى كون اعادة عن الأعيان عن تفريق أجزاء أو عدم محض (باعتبار ماورد) عن رسول الله ﷺ (والكل) أى كل واحد من كون الإعادة عن تفريق وكونها عن عدم (فى الجواز بالعقل اطرد) أى اتفقوا على أن كلا منهما جائز عقلا .

(واستثن من ذا الخلف عجب الذنب) وهو عظم دقيق فى آخر سلسلة الظهر فانه لا ينعدم كما جاء فى الحديث كل ابن آدم يأكله التراب الاعجب الذنب منه خلق ومنه يركب (١) (وما أتت فيه النصوص كالنبى) صلى الله عليه وسلم وسائر النبيين والعلماء العاملين والشهداء والمؤذنين والأولياء والعرش والكرسى والجنـــة والنار والحور روى عن النبى ﷺ أنه قال أن الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء (٢) .

(واختلفوا) أى العلماء (فى عود) أى إعادة (وقت) على قولين أحدهما أنه يعاد جميع أزمنة الأبدان التى مرت عليها فى الدنيا لتشهد عليها ولها بما وقع فيها من الطاعة والمعاصى . ومقابله عدم إعادته (وعرض) واختلفوا فى إعادة العرض فالذى ذهب إليه الأكثرون أن يعاد بشخصه الذى كان فى الدنيا حين إعادة الجسم لا فرق فى ذلك بين العرض الذى يطول بقاؤه كالبياض وبين غيره كالصوت ولا بين ما هو مقدور للعبد كالضرب وبين غيره كالعلم (وبعضهم إعادة الوقت اعترض) وهو ابن العربى .

---

(١) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة ، وما ذكره فى عجب الذنب هو المشهور عنـــد الجمهور ، وقال المزنى : عجب الذنب يبلى كغيره لقوله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) وتأول الحديث المذكور بأن عجب الذنب لا يبلى بالتراب بل بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك الموت ، وفيه بعد

(٢) الاحاديث فى حياة الانبياء البرزخية كثيرة أوردتها بتوسع فى كتاب (الرد المحكم المتين) وحكى ابن حزم فى (المحلى) والسخاوى فى (القول البديع) الاجماع على حياة الأنبياء فى قبورهم .

بِقَوْلِهِ جَلَّ جُلُودًا غَيْرَهَا فَارْكَبْ مَطَايَا الْبَحْثِ وَاعْرِفْ سَيْرَهَا
فَلَيْسَ إِلَّا الْغَيْرُ بِالأَزْمَانِ لِلْمَنْعِ مِنْ غَيْرِيَّةِ الأَبْدَانِ
فَبَانَ أَنَّ الْوَقْتَ لا يُعَادُ مِنْ ذَلِكَ الْحَصْرِ الَّذِى يُفَادُ

فصل فى الحساب والميزان والصراط

وَهَكَذَا الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ مِمَّا بِهِ قَدْ وَجَبَ الإِيمَانُ

(بقوله جل) كلما نضجت جلودهم بدلناهم (جلوداً غيرها) أى الزمان الذى فيه تعاد غير الزمن الذى مضى فى الدنيا (فاركب مطايا البحث) أى التحقيق (واعرف سيرها) أى المطايا .

(فليس) ثابتاً (إلا الغير بالأزمان للمنع) أى الاستحالة (من غيرية الأبدان) لاستلزامها مجازاة غير العامل فى الدنيا بالثواب أو العذاب واللازم وهو مجازاة غير العامل ممنوع فلزومه — وهو غيريتها — ممنوع فثبت نقيضه وهو إعادتها بعينها .

(فبان) أى ظهر (أن الوقت لا يعاد) أى فى الآخرة (من ذلك الحصر) المتقدم من قولنا فليس إلا الغير بالأزمان (الذى يفاد) بقول الله جلوداً غيرها

﴿ فصل فى الحساب والميزان والصراط ﴾

(وهكذا) أى كالذى تقدم ذكره من السؤال وعذاب القبر والبعث فإنه يقع يقينا (الحساب) على الاعمال خيراً كانت أو شراً فعلا أو قولا بعد أخذ الكتب إلا من استثنى فى الحديث (١) عن النبى ﷺ (يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا ليس عليهم حساب) فقيل للنبى ﷺ هلا استزدت ربك فقال (استزدته فزادنى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا) فالمؤمنون ثلاث

---

(١) حديث (يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب) ثابت فى الصحيحين من طرق ، والزيادة على السبعين ألفاً واردة خارج الصحيحين من طرق متعددة فيها الصحيح وغيره ، وأقرب الألفاظ لرواية الشارح حديث عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عند أحمد والبزار .

طوائف طائفة تدخل الجنة بغير حساب ، وطائفة تدخل بعد حساب يسير وطائفة تعذب ثم تخرج بالشفاعة ، والحساب ثابت بالقرآن والسنة قال الله إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم وقال ﷺ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا (١) وأول من يحاسب أمة محمد ﷺ وأول ما يسأل عنه العبد فى خاصة نفسه بعد التوحيد الصلاة وأول ما يحكم فيـــه الدماء (٢) (والميزان) أى للاعمال الصادرة من المؤمنين اتفاقاً لأن لهم حسنات تقابل سيآتهم ومن الكافرين فيها خلاف قيـل لاتوزن أعمالهم لأنهم ليس لهم حسنات تقابل سيئاتهم قال الله . فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وقال قوم توزن أعمالهم ومعنى الآية فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعاً والميزان له عمود ولسان وكفتان . كفة من نور للحسنات وكفة من ظلمة للسيئات وكفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات عن شمال العرش مقابل النار والذى يزن الأعمال جبريل ، وميكائيل أمين عليه ، وخفة الموزون وثقله على صورته فى الدنيا . عن أنس أن ملكا يوكل يوم القيامة بميزان ابن آدم فإن ثقل نادى بصوت يسمع جميع الخلائق ألا إن فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها وإن خف نادى ألا إن فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها (٣) قال الله فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينـه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النـار وهم فيها كالحون وقوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقيل إنهم أصحاب الأعراف والوزن للاعمال قيـل قبل الصراط ووقته بعد الحساب (مما به قد وجب الايمان) أى التصديق

---

(١) هو من كلام عمر كما فى الأحياء ، وبقيته وزنوها قبـل أن توزنوا وليس بحديث

(٢) فى الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود مرفوعا (أول ما يقضى بين الناس يوم القيـامة فى الدماء) وروى النسائى وغيره عن ابن مسعود مرفوعا أيضا (أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين النـاس فى الدماء) وفى الباب عدة أحاديث .

(٣) رواه البزار وفى سنده داود بن المحبر — بفتح البـاء المشددة — ضعيف متروك

وَتُوزَنُ الصُّحُفُ بِلَا إِشْكَالِ ... وَقِيلَ بَلْ أَمْثِلَةُ الأَعْمَالِ

وَالأَخْذُ لِلْكُتْبِ بِهِ النَّصُّ أَتَى ... وَالْخُلْفُ فِى الْعَاصِى لَدَيْهِمْ ثَبَتَا

هَلْ بِيَمِينٍ أَوْ بِشِمَالٍ يُعْطَى ... كِتَابَهُ وَمَنْ يَقِفْ مَا أَخْطَا

(وتوزن الصحف) المكتوب فيها أعمال العباد (وقيل بل أمثلة الأعمال) بأن تجسم الطاعات فى صورة حسنة نورانية ثم تطرح فى الكفة المعدة للحسنات ، والسيئات فى صورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح فى كفة الظلمة المعدة للسيئات .

(والاخذ للكتب) التى كتبت فيها الملائكة ما فعله العبد فى الدنيا (به النص أتى) أى جاء القرآن فآخذ بيمينه وآخذ بشماله قال الله (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون) وقال (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان فى أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا) (والخلف فى العاصى) هل يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله (لديهم ثبتا) أى الخلف بين العلماء .

(هل بيمين) يأخذ العاصى كتابه علامة على عدم خلوده فى النار ، ولأن الله قال فى الآخذ بشماله (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) والعاصى مؤمن بالله (أو بشمال يعطى) أى العاصى (كتابه ومن يقف) أى يتوقف من العلماء عن الكلام فى ذلك (ما أخطا) : أى الصواب .

إِذْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ صَرِيحٌ يُعْمَلُ   عَلَيْهِ وَالْوَارِدُ فِيهِ مُجْمَلُ
وَكَالصِّرَاطِ ذِي الْكَلَالِيبِ وَمَنْ   أُنْقِذَ مِنْهُ فَهُوَ بِالْفَوْزِ قَمِنْ
جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ الَّتِي   يَهْوِي بِهَا مَنْ رِجْلُهُ قَدْ زَلَّتْ

(إذ لم يرد فيه) فى أخذ العاصى كتابه بيمينه أو بشماله (صريح يعمل عليه) أى النص الصريح (والوارد فيه مجمل) أى محتمل الأمرين لأن قوله فأما من أوتى كتابه بيمينه شامل للمؤمن الطائع والعاصى وإذا أخذ المؤمن كتابه وجد حروف كتابته نيرة فإذا قرأه ابيض وجهه وإذا أخذ الكافر كتابه وجد حروف كتابته مظلمة فاذا قرأه اسود وجهه وكل واحد يقرأ كتابه ولوكان أميا (وكالصراط) ومما يجب الإيمان به الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أوله فى الموقف وآخره على باب الجنة طوله ثلاثة آلاف سنة (١) وفى رواية خمسة عشر ألف سنة والأنبياء حال مرورهم عليه يقولون اللهم سلم سلم وكل مسلم يقول حال المرور عليه رب سلم والملائكة تقول حال مرور الأمم رب سلم رب سلم والصراط ثابت بالقرآن والحديث قال الله فاستبقوا الصراط وقال رسول الله ﷺ « يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوز »(٢) وقد ذكر أن بعد النبى صلى الله عليه وسلم عيسى وأمته ثم موسى صلى الله عليه وسلم وأمته وهكذا يدعون نبيا نبيا وأمة أمة حتى يكون آخرهم سيدنا نوح وأمته (ذى الكلاليب) أى صاحب الخاطيف من الحديد المعوجة الرأس (ومن أنقذ) أى نجا (منه) أى الصراط (فهو بالفوز) أى بالنجاة من النار والخلود فى الجنة (قمن) أى حقيق .

(جسر على متن) أى أعلى (جهنم التى يهوى) أى يسقط (بها) أى جهنم (من رجله قد زلت) عن الصراط .

---

(١) أخرج ابن عساكر عن فضيل بن عياض قال : بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة ، خمسة آلاف صعود . وخمسة آلاف هبوط ، وخمسة آلاف مستوى ، وذكر بقية الأثر . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح . هذا معضل لايثبت . قلت : ولم يرد فى طول الصراط شىء يعتمد عليه .

(٢) هذا جزء من حديث ثابت فى الصحيحين وغيرهما .

وَمَا يُقَالُ إِنَّهُ أَرَقّ مِن شَعَرٍ صَدَّقَهُ فَهُوَ حَقّ
وَفِى صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَا أَرْشَدَ[1] إِلَيْهِ وَالضَّرِيرُ بِهِ أَنْشَدَ
وَالرَّبُّ لا يُعْجِزُهُ إِمْشَاؤُهُمْ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يُعْيِهِ إِنْشَاؤُهُمْ
تَبًّا لِقَوْمٍ أَلْحَدُوا فِى أَمْرِهِ مَا قَدَرُوا الإِلَهَ حَقَّ قَدْرِهِ
وَلِلْقَرَافِى هُنَا كَلَامُ مِنْ أَجْلِهِ نِيطَ بِهِ المَلَامُ

(وما يقال أنه) أى الصراط (أرق من شعر صدقه فهو) أى ما يقال (حق) أى ثابت .

(وفى صحيح مسلم ما أرشد إليه) أى إلى ما يقال أنه ارق من الشعر وأحد من السيف (والضرير) وهو يوسف بن يعقوب من أشياخ القاضى عياض (فيه انشد) أى فى الصراط .

(والرب لا يعجزه امشاؤهم عليه) أى الصراط الأرق من الشعرة والأحد من السيف (إذ لم يعيه) أى لم يتعبه (انشاؤهم) ايجادهم وخلقهم من عدم .

(تباً) هلاكا (لقوم الحدوا) أى مالوا عن الحق وغيروا (فى أمره) فى حكم الله . (ما قدروا الاله) أى ما عظموا الله (حق قدره) أى حق تعظيمه

(وللقرافى) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافى نسبة للقرافة بلد (٢) بمصر (هنا كلام من أجله) أى الكلام (نيط) أى علق (به الملام) أى اللوم لقوله : إن الصراط ذو طريقين يمنى تفضى إلى الجنة ويسرى إلى النار

(١) الذى فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى أثناء حديث الصراط ما نصه . قال أبو سعيد وبلغنى أن الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة وهذا كما ترى غير مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم . لكن رواه البيهقى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الحافظ ابن حجر . وفى سنده لين اﻫ أى ضعف خفيف .

(٢) ليست بلدا بمصر ولكنها موضع دفن الموتى ، وسبب نسبته إليها أنه لما أراد الكاتب أن يثبت اسمه فى ثبت الدرس كان غائبا فلم يعرف اسمه ، وكان إذا جاء للدرس يقبل من جهة القرافة . فكتبه : القرافى ، فاشتهر بهذه النسبة كذا نقله أبو عبد الله ابن رشيد عن بعض تلامذة القرافى .

وَالنَّاسُ إِذْ ذَاكَ ذَوُو أَحْوَالِ ... نَاجٍ سَرِيعاً أَوْ مَعَ الأَهْوَالِ
وَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ وَالْمُخَرْدَلُ ... مِمَّنْ بِهِ عَنْ الْجِنَانِ يُعْدَلُ
لِلنَّارِ وَهِيَ مَسْكَنُ الْكُفَّارِ ... وَمَنْ أَبَى عَنْ طَاعَةِ الْغَفَّارِ
وَوَاجِبٌ أَنْ يُنَفَّذَ الْوَعِيدُ فِي ... بَعْضِ الْعُصَاةِ دُونَ مَا تَوَقُّفِ

(والناس إذ ذاك) أى حيث المرور على الصراط (ذوو) أى أصحاب (أحوال) أى مختلفة (ناج) من الوقوع فى النار (سريعا) كالبرق أو كالريح أو كالجواد (أومع الأهوال) أو ناج بعد خدش الكلاليب وسفع النار .

(ومنهم) أى الناس (الموبق) أى المهلك بعمله وهم أقسام الأول يهوى بهم فى النار عند ما يضعون أقدامهم عليه والثانى من يتخرق بهم الجسر فينخسف بهم فى النار والثالث من تخطفهم الزبانية والكلاليب (والمخردل) أى المقطع (ممن) أى من الفريق الذى (به عن الجنان يعدل) أى يعدل به عن الجنة إلى النار وفى الحديث فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى النار (١) .

(للنار وهى مسكن الكفار) فى الآخرة (ومن أبى) أى امتنع (عن طاعة الغفار) أى كثير المغفرة لذنوب عباده إلا الشرك قال تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (تنبيه) النار سبع طبقات أعلاها جهنم وهى لمن عذب من عصاة المؤمنين وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وهى للمنافقين قال الله (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار أجارنا الله من جميعها بمنه وكرمه بجاه سيدنا محمد ﷺ ونسأله أن يجعلنا فى فى أعلى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(وواجب أن ينفذ الوعيد) من الله بتعذيب العصاة (فى بعض العصاة دون ماتوقف) أى توقف والمراد بالبعض المذكور طائفة ولو واحداً من كل صنف من العصاة كقتلة النفس وشربة الخمر وهكذا فلابد من انفاذ الوعيد لطائفة من

---

(١) هذا طرف من حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وغيره .

وَما بِنَوْعٍ واحِدٍ يَخْتَصُّ	مِنْهُمْ وفِي الْأَنْوَاعِ جَاءَ النَّصُّ
لكِنَّ ذَا الْعِصْيانِ لاَ يُخَلَّدُ	فِيها وَذُو الْكفر بِهَا مُؤَبَّدُ
وَكَالشَّفَاعَةِ لِأَزْكَى مُرْسَلِ	فَاضْرَعْ إِلَى الْمَنَّانِ فِيهَا وَسَلِ
وَقَدْ أَتَتْ أَنْوَاعُهَا مَنصُوصَهْ	والْبَعْضُ كَالْكُبرى بِهِ مَخْصُوصَهْ
لِأَنَّهَا أَظْهَرَتِ ارْتِفَاعَهْ	إِذْ وَجَّهَ الْكُلُّ لَهُ الشَّفَاعَهْ

كل صنف اقلها واحد والحاصل أن الناس على قسمين مؤمن وكافر فالكافر مخلد فى النار والمؤمنون على قسمين طائعون وعاصون فالطائعون فى الجنة والعاصون على قسمين تائب وغير تائب فالتائب إن قبل الله توبته فى الجنة وغير التائب فى المشيئة ولو عذب لايخلد فى النار .

(ومابنوع واحد) من أنواع العصاة (يختص) تنفيذه (منهم) أى العصاة (وفى الأنواع) العصاة (جاء النص) ورد عن الشارع تنفيذ الوعيد فى بعض كل نوع منهم كقول الله ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاءه جهنم وكقوله من يعمل سوءاً يجز به .

(لكن ذا العصيان) وهو المؤمن العاصى (لايخلد فيها) أى النار (وذو الكفر بها مؤبد) وأما الكافر فخلد فيها قال الله (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)

(وكالشفاعة) ومما يجب الايمان به الشفاعة وهى طلب الخير من الغير للغير (لأزكى مرسل) وهو سيدنا محمد ﷺ (فاضرع) تذلل (إلى المنان) أى كثير الانعام وهو الله (فيها وسل) أى فى طلب الشفاعة .

(وقد أتت أنواعها) أى الشفاعة (منصوصة والبعض) من أنواع الشفاعة (كالكبرى) وهى الشفاعة فى فصل القضاء (به) بسيدنا محمد ﷺ (مخصوصه) لايشاركه فيها أحد .

(لأنها) أى الشفاعة الكبرى (أظهرت ارتفاعه) أى علو مرتبته على جميع الخلق عند الله (إذ وجه الكل له الشفاعة) أى أهل الموقف كلهم توجهوا فى الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ .

وَالأَنبيَا تَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي   سِوَاهُ فَالفَضْلُ لَهُ كَالشَّمْسِ

(والأنبيا تقول نفسى نفسى) كل نبى يتوجه الناس إليه فى طلب الشفاعة يقول لهم إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله لا أسأله اليوم إلا نفسى وأول نبى يأتونه أبونا آدم يقول لهم اذهبوا إلى نوح ويقول لهم نوح اذهبوا إلى إبراهيم خليـــل الله فيقول لهم إبراهيم اذهبوا إلى موسى كليم الله فيقول لهم اذهبوا إلى عيسى فيقول لهم عيسى اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتونه فيقول لهم أنا لها أنا لها (سواه) أى سيدنا محمد ﷺ فلا يقول نفسى بل يقول أنا لها فيسجد تحت العرش فيدعو الله طالبا الشفاعة فى فصل القضاء فيقبل الله شفاعته فى أهل الموقف فى الانصراف فيقول يارب مر بعبادك إلى الحساب وقد اشتد الكرب فيجاب إلى ذلك وهذه هى الشفاعة الكبرى لإراحة الناس من كرب الموقف وهو المقام المحمود الذى يحمده فيه الأولون والآخرون وبيان ذلك أنه إذا قام الناس من قبورهم عند النفخة الثانية ينفضون التراب عن رؤوسهم وشخصوا بابصارهم مهطعين إلى الداع سكارى وما هم بسكارى والهين حيارى النساء والرجال فى صعيد واحد لايعرف الرجل من إلى جانبه رجل أو امرأة والمرأة كذلك من شدة الهول قد اشتغل كل منهم بحال نفسه وكل نفس معها سائق إلى أرض المحشر وشهيـــد يشهد عليها ثم يؤتى بهم إلى أرض الحشر قيل إنه بيت المقدس فاذا إجتمعوا جولوا على الساهرة وهى أرض بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة وهى الآن فى غامض علم الله وكشطت الأرض من تحت أقدامهم وروى . إذا اجتمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد تناثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويعظم الامر ثم تنشق السماء فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتا تدهش لهوله الالباب ثم الملائكة هابطون إلى الأرض فلائكة سماء الدنيا يحيطون بالخلق وهكذا ملائكة كل سماء حتى تكون سبعة دوائر ثم تسيل السماء كالمهل وهو النحاس المذاب ثم تقرب الشمس من رءوس الخلائق حتى ما يكون بينها وبينهم إلا قدر ميل ويزاد فى حرها سبعون ضعفا فتغلى أدمغتهم فيكثر العرق

فَيُنْقِذُ اَلْجَمِيعَ مِنْ غُمُومِ ... قَدِ اعْتَرَتْهُمُ وَمِنْ هُمُومِ
وَهْيَ وَعُودُ رَبِّهِ يَفِيهَا ... لَهُ فَنَسْأَلُ اللهَ الدُّخُولَ فِيهَا

قال عليه الصلاة والسلام إن العرق ليذهب فى الأرض سبعين ذراعاً (١) والناس يومئذ فى العرق مختلفون على قدر ذنوبهم فمنهم من يأخذه إلى كعبه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى ابطيه ومنهم من يأخذه إلى عنقه ومنهم من يلجمه ومنهم من يكون تحت ظل العرش يوم لاظل إلا ظله فى سرور ونعيم اللهم اجعلنا تحت ظله ، ثم يقف الناس ما شاء الله حتى يطول الوقوف ويشتد الكرب شاخصين نحو السماء لاينطقون فاذا طال انتظارهم طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الوقوف فيقول بعضهم لبعض انطلقوا إلى أبينا آدم فينطلقون إليه فيقول لهم اذهبوا إلى نوح وهكذا حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم (فالفضل له) لسيدنا محمد ﷺ على سائر الأنبياء (كالشمس) كفضل الشمس على سائر الكواكب .

(فينقذ) يخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (الجميع) من أهل الموقف (من غموم قد أعترتهم) اصابتهم (ومن هموم) قد عمت الجميع .

(وهى) أى الشفاعة الكبرى (وعود ربه يفيها له) لسيدنا محمد ﷺ (فنسأل الله الدخول فيها) فى شفاعة سيدنا محمد ﷺ والشفاعة أنواع . منها الشفاعة فى فصل القضاء وهى خاصة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والشفاعة فى دخول قوم الجنة بغير حساب وهى مختصة به . والشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة والشفاعة فى تخفيف العذاب عن من استحق الخلود فى النار من الكفار وهى شفاعته فى عمه أبى طالب وأما الشفاعة فيمن استحق النار أن لايدخلها فليست مختصة به والشفاعة فى إخراج من دخل النار من الموحدين فيشاركه فيها الأنبياء والملائكة والصالحون (تنبيه) يشفع الله فيمن قال لاإله إلا الله ولم يعمل خيرا قط وشفاعته عبارة عن عفوه .

---

(١) الحديث بهذا اللفظ لا نعرفه ، لكن روى الطبرانى بإسناد جيد عن انس مرفوعا (لم يلق ابن آدم شيئا منذ خلقه الله عزوجل أشد عليه من الموت ثم الموت أهون عليه مما بعده وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق حتى إن السفن لو أجريت فيه لجرت) وجاءت أحاديث فى اختلاف الناس فى الموقف بين ملجم بعرقه وغيره بحسب أعمالهم .

وَحَوْضُهُ مِمَّا بِهِ النَّصُّ وَرَدْ وفِيهِ خُلْفٌ هَلْ بِهِ الْهَادِي انْفَرَدْ

وَهْوَ الأَصَحُّ أَوْ لِكُلِّ مُرْسَلِ حَوْضٌ مِنَ العذبِ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وَكَوْنُهُ بَعْدَ الصِّرَاطِ مُخْتَلَفْ فِيهِ وبَعْضٌ بِالتَّعَدُّدِ اعْتَرَفْ

وَذَوْدُ ذِي التَّغْيِيرِ عَنْهُ قَدْ بَدَا وَمَنْ يَذُقْهُ لَيْسَ يَظْمَا أَبَداً

وَاللهُ لَا يُحْرِمُنَا مِنْ شُرْبِ مِنْهُ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى ذِي الْقُرْبِ

(وحوضه) وهو الكوثر (مما به النص ورد) عن سيدنا محمد ﷺ قال : حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لايظمأ بعدها أبدا (وفيه خلف) اختلاف بين العلماء (هل به الهادى انفرد) اختص بالحوض عن سائر المرسلين .

(وهو الأصح أو لكل مرسل حوض) ترده أمته كما ترد أمة سيدنا محمد ﷺ حوضه (من العذب) الماء الحلو (الرحيق) الخمر التى لا تشبه خمر الدنيا ولا تسكر شاربها (السلسل) الماء العذب البارد .

(وكونه بعد الصراط) أو قبله (مختلف فيه وبعض) من العلماء (بالتعدد اعترف) فقال للنبي ﷺ : حوض قبل الصراط وحوض بعده والصحيح أنه واحد قبل الصراط .

(وذود) طرد وإبعاد (ذى التغيير) المغير أو المبدل فى سنة سيدنا محمد ﷺ (عنه) عن الحوض يطرد كما تطرد الغريبة من الإبل يطردها الناس عن حياضهم (قد بدا) ظهر وثبت فى الحديث (ومن يذقه) ومن يشرب من الحوض (ليس يظمأ أبدا) لا يصيبه عطش بعد شربه من الحوض أبدا ، ويكون شرابه من أنهار الجنة على جهة التنعم لاعن عطش وفى الجنة أنهار تجرى بغير أخدود قال الله : (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات) .

(والله لا يحرمنا من شرب منه) نسأل الله أن لا يحرمنا من الشراب من حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (بجاه المصطفى ذى القرب) صاحب القرب من الله .

وَالجنةُ التى أَعَــدَّ اللهُ حَقٌّ لِمَنْ إِنعامهُ أَوْلَاهُ

وَالمُؤْمِنُونَ بالأَمَانِ أُسْعِدُوا فِيهَا وَفِى أَوْجِ التَّهانِى أُصْعِدُوا

وَكَيفَ لَا وَقَدْ تَنَاهَى كُلُّ سُو عَنْهُمْ وَنَالُوا ما اشْتَهَتْهُ الأَنْفُسِ

وَأُتحِفُوا مِنَ العَطَايَا وَالبِشْرْ ما لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ فِى قَلْبِ البَشَرْ

وَمِنْ رِضَا الرَّحْمَن ما قَرَّتْ بِهِ أَعْيُنُهُمْ مَعَ أَمْنِهِمْ مِنْ سَلْبِهِ

وَزَادَهُمْ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ رُؤْيَتَهُمْ مَنْ عَمَّهُمْ بِفَضْلِه

فَنَسْأَلُ الْكَرِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ يُيَسِّرَ النَّفْعَ لَنَا

(والجنة التى أعد) أى هيأ (الله) لأوليائه (حق) ثابتة (لمن) للفريق الذى (انعامه) أى الله (أولاه) أعطاه .

(والمؤمنون بالأمان) من كل شر (أسعدوا) فى الجنة (وفى أوج) أعلى (التهانى) أى التفريح بما يسر والمراد هنا الدرجات العلى التى يهنى بها (اصعدوا) أى جعلوا صاعدين .

(وكيف لا) يكونون مسعدين بالأمن من كل شر (وقد تناهى كل سو عنهم) أى المؤمنين (ونالوا) أدرك المؤمنون (ما) أى النعيم الذى (اشتهت الأنفس) قال الله (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)

(واتحفوا) أهدوا (من العطايا والبشر) ما يستبشر به (مالم يكن يخطر فى قلب البشر) قال الله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفى الحديث . أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

(ومن رضا الرحمان ماقرت) فرحت (به أعينهم) أى المؤمنين (مع أمنهم من سلبه) إزالته عنهم .

(وزادهم) زاد الله المؤمنين (من بعد هذا) المذكور (كله رؤيتهم) أى المؤمنين (من) الذى (عمهم بفضله) وهو الله فيرونه بلا كيف ولا انحصار قال الله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله فى الجنة

(فنسأل) الله (الكريم) الذى إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولايبالى كم أعطى ولمن أعطى ولا يضيع من لاذ به والتجى (أن يجعلنا منهم وأن ييسر النفع لنا) وأن يسهل لنا ما ينفعنا فى الدنيا والآخرة

خاتمة

وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْقَدَرِ ... خَيْرٍ وَضِدِّهِ كَمَا فِي الْخَبَرِ
وَذُو السَّعَادَةِ السَّعِيدُ فِي الْأَزَلْ ... وَضِدُّهُ الشَّقِيُّ حَيْثُمَا نَزَلْ
وَكُلُّهُمْ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقْ ... لَهُ فَدَاجٍ أَمْرُهُ وَمُؤْتَلِقْ

(تنبيه) يجب الايمان بخلود المؤمنين فى الجنة والكافرين فى النار وأنهما مخلوقتان الآن وأعلى درجة فى الجنة الفردوس ومنها تتفجر أنهار الجنة وفوقها عرش الرحمن وتليها جنة عدن ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار الجلال وأهل الجنة كلهم يتنعمون فى الجنة بمشاهدة رسول الله ﷺ

(خاتمة)

(وواجب) شرعاً (إيماننا) تصديقنا (بالقدر) وهو علم الله وإرادة الأشياء الممكنة قبل وجودها (خير) طاعة ومنفعة (وضده) من معصية ومضرة (كما فى الخبر) أى الحديث ، عن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله ﷺ لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة أشياء يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر (١) خيره وشره حلوه ومره وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم (٢) وقال الله (انا كل شىء خلقناه بقدر) واثبات القدر هو عقيدة جميع أهل الاسلام الى أن ظهر فى آخر قرن الصحابة رضى الله عنهم قوم من أهل البدعة يقال لهم القدرية قالوا إن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها .

(وذو السعادة السعيد فى الأزل) هو من علم الله سعادته فى الأزل قبل خلقه (وضده الشقى) من علم الله فى الأزل شقاوته قبل خلقه (حيثما نزل) أى وجد (وكلهم) ذو السعادة وذوو الشقاوة (ميسر) مسهل (لما) للعمل الذى (خلق له) ذو السعادة وذو الشقاوة (فداج) أى مظلم (أمره) عمله وهو الشقى (ومؤتلق) مضىء عمله وهو السعيد .

---

(١) رواه ابن ماجة . (٢) رواه ابن ماجة أيضا عن جابر ، لا لجبار كما فى الأصل خاطئا ، وهو ضعيف بل قيل بوضعه ، وقد كان الشارح فى غنى عن هذين الحديثين بذكر حديث سؤال جبريل عن الايمان والاسلام والاحسان ، ففيه التصريح بالايمان بالقدر ، وهو حديث صحيح بلا نزاع .

وَالكلُّ لاَ يَخْرُجُ عَنْ حُكْمِ القَضَا ... وَلَيْسَ مَا أَظْلَمَ مِثْلُ مَا أَضَا

وَمَا إِلَى الأَعْمَالِ ظَاهِرًا رَجَعْ ... فَذَاكَ إِسْلاَمٌ بِهِ العَبْدُ انْتَفَعْ

وَمُرْجِعُ الإِيمَانِ لِلإِذْعَانِ ... بِالقَلْبِ وَالتَّصْدِيقِ بِالجَنَانِ

وَنُطْقُ ذِى القُدْرَةِ شَرْطٌ فِيهِ ... عَلَى اخْتِلاَفٍ كُتْبُهُمْ تَحْوِيهِ

(والكل) من السعداء والأشقياء (لا يخرج عن حكم القضا) من الله (وليس ما أظلم) وهو كفر الأشقياء ومعاصى أهل المعاصى (مثل ما أضا) وهو الايمان والطاعة قال الله هل تستوى الظلمات والنور واعلم أن الأشعرية ذهبوا إلى أن السعيد من علم الله فى الأزل موته على الاسلام وإن تقدم منه كفر والشقى من علم الله موته على الكفر وإن تقدم منه إسلام فليس كل من السعادة والشقاوة عندهم باعتبار الوصف القائم به فى الحال من الاسلام أو الكفر باعتبار ما سبق أزلا فى علمه وعلى مذهبهم لا يتصور فى السعيد فى الأزل أن يشق ولا فى الشق فى الأزل ان يسعد وذهبت الماتريدية إلى أن السعادة هى الاسلام فى الحال والشقاوة هى الكفر فى الحال فالسعيد هو المسلم فى الحال وإذا مات على الكفر فقد انقلب شقيا بعد أن كان سعيداً والشقى هو الكافر فى الحال وإذا مات على الاسلام فقد انقلب سعيداً بعد أن كان شقياً فقطعوا النظر عن الموت ونظروا للحالة التى هو عليها الآن وهذا الخلف لفظى لأنهم متفقون على أن من مات على الايمان فله الجنة ومن مات على الكفر فله النار .

(وما إلى الأعمال ظاهراً رجع فذاك) أى الراجع إلى الأعمال فى الظاهر (إسلام به العبد انتفع) يعنى أن حقيقة الاسلام الأعمال الظاهرة التى ينتفع العبد بها كالصلاة .

(ومرجع) رجوع حقيقة (الايمان للاذعان بالقلب) أى الانقياد والقبول لما جاء به رسول الله ﷺ (والتصديق بالجنان) أى القلب يعنى أن حقيقة الايمان التصديق بالقلب لسيدنا محمد ﷺ فيما جاء به من عند الله وأما من علم أنه رسول من عند الله ولم يصدقوا فيما جاء به فهو كافر قال الله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .

(ونطق ذى القدرة) بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله للقادر (شرط فيه) فى الايمان (على اختلاف) بين العلماء فى كون النطق بالشهادة شرطا فى الايمان للقادر أو ليس بشرط فيه (كتبهم تحويه) تحوى الخلاف فقال بعضهم

وَالْخُلْفُ فِي النُّقْصَانِ وَالزِّيَادَهْ   مُقَرَّرٌ عِنْدَ ذَوِي الْإِفَادَهْ
وَقِيـــلَ لِلْأَعْمَالِ يُرْجِعَانِ   فَيَنْتَفِي الْخِلَافُ فِي الْمَعَانِي

إن التلفظ بالشهادتين للقادر علامة على الايمان بالنسبة الينا لدلالتها على التصديق الخفي عنا فالمناطق الذى أظهر الاسلام وأضمر الكفر مؤمن فيما بيننا تجرى عليه أحكام المسلمين كافر عند الله ، وعكسه من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهو كافر فيما بيننا مؤمن عند الله وهذا القول نسب للجمهور وقيل أن من قدر على النطق بالشهادة ولم ينطق بها لا يكون مؤمنا عندالله وهذا الخلاف فى الكافر وأما المولود فى الاسلام فمحكوم باسلامه ويجب عليه النطق بالشهادة مرة فى عمره وأما العاجز عن النطق فتكفيه الاشارة .

(والخلف) بين العلماء (فى النقصان) فى قبول الايمان النقصان (والزيادة) وعدم قبولها (مقرر عند ذوى الافادة) فقال قوم يزيد وينقص وقال قـــوم لايزيد ولاينقص وقال قوم يزيد ولاينقص وذلك باعتبار كثرة الأدلة ووضوحها فى نفسها وشدة المعرفة الجلية ، فمعرفة الأنبياء لله ليست كمعرفة غيرهم ومعرفة الأولياء والعلماء لله ليست كمعرفة غيرهم من العامة والجزم حاصل من الكل لأن الشاك فى الوحدانية كافر .

(وقيل للاعمال يرجعان) أى النقصان والزيادة (فينتفى الخلاف فى المعانى) وذلك أن مذهب أهل السنة أن الايمان يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصانها لأن الطاعة تسمى إيمانا فيكون من زادت طاعته فذلك زيادة فى إيمانه ومن عصى فذلك نقص فى إيمانه فيكون العلماء متفقين من جهة المعنى فالايمان يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها ولا خلاف أن الناس متفاوتون فى الطاعة كما هو مشاهد فمنهم الطائع ومنهم العاصى واعلم أن الناس أقسام فالمؤمنون مصيرهم إلى الجنة ومن مات صغيرا كذلك والمنافقون آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم لهم ما لنا فى الدنيا وعليهم ما علينا فى الدنيا ، وفى الآخرة فى الدرك الأسفل من النار والكفار مصيرهم إلى النار ومن مات منهم قبل البلوغ ففيه الخلاف ومن زال عقله بعد البلوغ واستمر على ذلك إلى أن مات فمحكوم له بما كان عليه من إسلام أو كفر وأما من أسر الاسلام وأظهر الكفر فانا نعامله معاملة الكفار فى الدنيا وهو مؤمن عند الله يعامله معاملة المؤمنين فى الآخرة .

وَاللَّوحُ وَالقَلَمُ وَالكُرْسِيُّ ... وَالعَرْشُ ذُو الجَسَامَةِ القُدْسِيُّ
وَالكاتِبُونَ وَاجِبٌ إِيمَانُنَا ... بِكُلِّهِمْ فَرْضٌ بِهِمْ إِيقَانُنَا
وَأَنَّ لِلعَبْدِ كِرَاماً حَفَظَهْ ... لِكُلِّ مَا أَخْفَاهُ أَوْ مَا لَفَظَهْ
وَيَجْعَلُ اللهُ لَهُمْ عَلَامَهْ ... عَلَى الضَّمِيرِ فَأَسْأَلِ السَّلَامَهْ

(واللوح) ومما يجب الايمان به اللوح المحفوظ وهو جسم نورانى كتب فيه القلم باذن الله ما كان وما يكون (والقلم) الكاتب فى اللوح وهو جسم عظيم نورانى تحت العرش وفوق السماء السابعة (والعرش ذو الجسامة) أى صاحب الجسم العظيم النورانى العلوى (القدسى) أى المنسوب للقدس وهو الطهر .

(والكاتبون واجب إيماننا بكلهم) ومما يجب الايمان به الملائكة الكرام الكاتبون وهما رقيب كاتب الحسنات وعتيد كاتب السيئات وهما على كل أحد قال الله (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال رسول الله ﷺ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح (١) وفى كتابتهم لما لا ثواب فيه ولا عقاب خلاف ، وفيه ثلاثة رفع القلم عنهم قال رسول الله ﷺ (٢) رفع القلم عن ثلاث عن المجنون حتى يفيق وعن الصبى حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ (فرض بهم ايقاننا) أى جزمنا .

(وأن للعبد كراما حفظه لكل ما) أى عمل (اخفاه) أى العبد (او ما لفظه) أى أظهره العبد .

(ويجعل الله لهم علامة على الضمير) على الذى أضمره العبد فى قلبه ولم يفعله باعضائه ولم يتكلم به (فاسأل) الله (السلامة) من المعاصى الظاهرة والخفية نسأل الله أن يحفظنا من المعاصى وأن يوفقنا لطاعته وان يميتنا على الايمان .

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه (٢) رواه احمد وأبوداود والحاكم من حديث على وعمر نحوه ، ورواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عائشة نحوه أيضا وصححه الحاكم .

وَقيلَ لاَ يَكْتُبُ مَا فِى القَلْبِ ... وَالْكُلُّ لاَ يَفُوتُ عِلْمَ الرَّبِ
وَلَيْسَ يَحْتَاجُ بِهِمْ إِلَى اسْتِظْهَارِ ... بِهِمْ تَعَالَى عَالِمُ الأَسْرَارِ
وَمَا لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَسْمَا ... قَدِيمَةٌ لَهَا المَقَامُ الأَسْمَى

(وقيل لا يكتب ما فى القلب) المعنى الذى استقر فى القلب لخبر أنتم حفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبة (١) (والكل) من العمل الظاهر والباطن (لا يفوت علم الرب) بل علمه محيط بجميع المعلومات جملة وتفصيلا لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، واعلم ان العبد ان هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشر حسنات قال الله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ومن الحسنات ما يضاعف إلى سبعمائة أو أكثر قال الله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ومن الحسنات من لا يعلم عدد ثوابها إلا الله وهى الصبر قال الله (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وان هم بسيئة ولم يعملها خوفا من الله كتبت له حسنة وإن عملها كتبت عليه سيئة وإن عزم على فعل معصية ولم يعملها ففى ذلك خلاف فبعضهم قال تكتب عليه واستدل بحديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه (٢) .

(وليس يحتاج) فى علمه اعمال عباده الظاهرة والباطنة (إلى استظهار) استعانة (بهم) بالحفظة (تعالى عالم الأسرار) الخفيات .

(وما له سبحانه من أسما) والمراد به ما دل على الذات كالله أو باعتبار الصفة كالعالم (قديمة لها) أى أسماء الله (المقام) الشرف (الأسمى) أى الأعلى

---

(١) هذا جزء من حديث طويل ورد عن معاذ ، رواه ابن المبارك فى الزهد وابن حبان فى الضعفاء ، وورد عن على وغيره ، قال الحافظ المنذرى آثار الوضع ظاهرة عليه فى جميع طرقه وبجميع الفاظه اهـ وهو كما قال

(٢) متفق عليه من حديث أبى بكرة نفيع ابن الحارث رضى الله عنه

وَهِيَ لَنَا تُدْرَى بِالاسْتِقْرَاءِ ... مِنْ طُرُقِ التَّوْقِيفِ لا الآرَاءِ
وَيُطْلَقُ الشَّيْءُ عَلَى الْمَوْجُودِ ... لا غَيْرِهِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَحْمُودِ
وَمَالِكٌ وَأَهْلُ الاجْتِهَادِ ... كُلٌّ إِلَى نَهْجِ الصَّوَابِ هَادِ
كَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَهْ ... وَأَحْمَدٍ ذِي الرُّتْبَةِ الْمُنِيفَهْ
وَكُلُّهُمْ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ... وَفِرْقَةُ الْجُنَيْدِ دِنْ بِحُبِّهِمْ
فَإِنَّهُمْ طَرِيقُهُمْ مَرْضِيَّهْ ... قَوِيمَةٌ لِأَهْلِهَا مَزِيَّهْ

(وهى) اسماء الله الحسنى (لنا تدرى) نعلم (بالاستقراء) وهو تتبع الآيات والأحاديث (من طرق التوقيف) أى التعليم بالقرآن والحديث (لا الآراء) لا من طريق الاجتهاد ولا يثبت لله اسم ولا صفة إلا اذا ورد بذلك نص من الشارع وأسماء النبي ﷺ توقيفية .

(ويطلق الشىء) أى هذا اللفظ (على الموجود) قديما كان او حادثا (لا غيره) أى الموجود وهو المعدوم (فى المذهب المحمود) أى الصحيح .

(ومالك) ابن أنس إمام دار الهجرة وأجل علمائها (واهل) أى أصحاب (الاجتهاد) وهو بذل الوسع فى استنباط الأحكام الشرعية (كل إلى نهج الصواب هاد) إلى طريقة الحق هاد .

(كالشافعى) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع (وأبى حنيفة) هو النعمان بن ثابت بن زوطا الكوفى (وأحمد) هو احمد بن حنبل (ذى الرتبة المنيفة) صاحب الرتبة العلية .

(وكلهم) أى أهل الاجتهاد (على هدى من ربهم وفرقة) جماعة (الجنيد) محمد الجنيد سيد الصوفية علماً وعملا القائل : أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبى ﷺ فى الأخلاق والأفعال واخلاص النية فى الأعمال (دن) تدين وتقرب إلى الله (بحبهم) محبتهم .

(فانهم) أى الجنيد وفرقته (طريقهم مرضية قويمة) مستقيمة على وفق السنة المحمدية (لأهلها مزية) أى فضيلة .

وَجَاحِدُ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَهْ ... جَاءَ بِكُفْرٍ وَانْتَحَى غُرُورَهْ
وَقَتْلُهُ لِلْكُفْرِ لَا لِلْحَدِّ ... وَذَلِكَ الْجَزَاءُ لِلْمُرْتَدِّ
كَذَا مَنِ اسْتَحَلَّ نَحْوَ الْخَمْرِ ... مِمَّا امْتِنَاعُهُ شَهِيرُ الْأَمْرِ
وَالنَّصُّ إِنْ أَوْهَمَ غَيْرَ اللَّائِقِ ... بِاللهِ كَالتَّشْبِيهِ بِالْخَلَائِقِ
فَاصْرِفْهُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِجْمَاعَا ... وَاقْطَعْ عَنِ الْمُمْتَنِعِ الْأَطْمَاعَا
وَمَا لَهُ مِنْ ذَاكَ تَأْوِيلٌ فَقَطْ ... تَعَيَّنَ الْحَمْلُ عَلَيْهِ وَانْضَبَطْ

(وجاحد المعلوم بالضرورة) ومنكر مشروعية ما علم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج (جاء بكفر وانتحى غروره) ارتد عن الاسلام وأما مالا يعلم من الدين بالضرورة للعامة فلا يكفر به .

(وقتله) أى جاحد ما علم من الدين بالضرورة بعد ما يمهل ثلاثة أيام فان لم يتب قتل (للكفر) لكفره (لا للحد) فليس قتله حدا كتارك الصلاة كسلا (وذلك) القتل الجزاء (للمرتد) عن دين الاسلام .

(كذا من استحل نحو الخمر) مما علم من الدين بالضرورة حرمته فانه يقتل بعد ما يمهل ثلاثة أيام فان لم يتب قتل كافرا (مما امتناعه شهير الأمر) أى مشهور بين المسلمين .

(والنص) من القرآن أو الحديث (إن أوهم) أدخل فى الوهم معنى (غير) المعنى . (اللائق بالله كالتشبيه) لله (بالخلائق) بخلقه .

(فاصرفه) أى النص الذى أوهم غير اللائق بالله (عن ظاهره اجماعا) باجماع من السلف والخلف على وجوب صرفه عن ظاهره (واقطع عن الممتنع الاطماع) أى واقطع عن صحة حمله على المعنى الظاهر منه الطمع .

(وماله) أى النص الموهم غير اللائق بالله (من ذلك) أى النص الموهم (تأويل فقط) أى واحد (تعين الحمل) للنص (عليه) على ذلك التأويل الواحد (وانضبط) أى انحصر المراد فى ذلك التأويل الواحد .

كَمِثْلِ وَهُوَ مَعَكُمْ فَأَوِّلِ ... بِالْعِلْمِ وَالرَّعْى وَلَا تُطَوِّلِ
إِذْ لَا تَصِحُّ هَاهُنَا الْمُصَاحَبَهْ ... بِالذَّاتِ فَاعْرِفْ أَوْجُهُ الْمُنَاسَبَهْ
وَمَا لَهُ مُحَامِلُ . الرَّأْيُ اخْتَلَفْ ... فِيهِ وَبِالتَّفْوِيضِ قَدْ قَالَ السَّلَفْ
مِنْ بَعْدِ تَنْزِيهٍ وَهَذَا أَسْلَمْ ... وَاللهُ بِالْمُرَادِ مِنْهَا أَعْلَمْ
لِذَاكَ قَالَ مَالِكٌ إِذْ سُئِلَا ... فِى الاسْتِوَا وَالْكَيْفُ مِنْهُ جُهِلَا

(كمثل) قول الله (وهو) أى الله (معكم) أين ما كنتم (فأول) قوله وهو معكم (بالعلم) أى بتعلق علم الله بالمخلوقين (والرعى) أى وبتعلق حفظ الله لهم (ولا تطول) ولا تطل الكلام .

(إذ لا تصح هاهنا) أى فى هذه الآية (المصاحبة) من الله للخلق (بالذات) أى بذات الله لاستلزامها الجسمية والاستقرار فى المكان والانحصار وكلها محالة فى حق الله (فاعرف اوجه المناسبة) فى التأويل

(وماله محامل) والنص الموهم غير اللائق بالله الذى له تأويلات يصح حمله على كل منها (الرأى اختلف فيه) اختلف العلماء فيه على مذهبين مذهب السلف وإليه أشار المصنف بقوله (وبالتفويض) لله فى المراد به وتنزيه الله عن صفة الحوادث (قد قال السلف) وهم الصحابة والتابعون وتابع التابعين

(من بعد تنزيه) الله عن المعنى الظاهر منه (وهذا) أى مذهب السلف (اسلم) من الخطر الذى فى حمله على معنى معين لاحتمال أنه غير مراد (والله بالمراد منها اعلم) فنكل علمها إلى الله ولا نؤولها ولا نخوض فيها بل نقول آمنا بها على مراد الله ونزهنا ربنا عن صفة الحوادث وليس كمثله شىء .

(لذاك) كون المراد منه لا يعلمه إلا الله (قال مالك إذ) حين (سئلا فى الاستوا) فى قول الله تعالى الرحمن على العرش استوى قال الاستواء غير مجهول (والكيف منه جهلا) أى مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وأرى السائل بدعيا وأمر باخراجه ، وسئل الشافعى عن ذلك فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسى فى الادراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الامساك وسئل أحمد بن حنبل عن ذلك قال استوى كما أخبر لا كما يخطر بالبشر .

وَصَارَ لِلتَّأْوِيلِ قَوْمٌ عَيَّنُوا ... مِمَّا يَلِيقُ رَاجِحاً وَبَيَّنُوا
إِذْ فَسَّرُوا الْوَجْهَ بِذَاتٍ وَالْيَدَا ... بِقُدْرَةٍ وَذَا الْإِمَامُ أَيَّدَا
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ مَن فِي السَّمَا ... مَعْنَاهُ بِالْأَمْرِ وَسُلْطَانٍ سَمَا
وَقِسْ عَلَى هَذَا جَمِيعَ مَا اشْتَبَهْ ... فِي الذِّكْرِ وَالْحَدِيثِ وَادْرِ الْمَرْتَبَهْ
وَالذَّنْبُ مَقْسُومٌ إِلَى الْكَبِيرَهْ ... كَالْقَذْفِ وَالْقَتْلِ وَلِلصَّغِيرَهْ
وَهْيَ بِالِاجْتِنَابِ لِلْكَبَائِرِ ... مَغْفُورَةٌ مِنْ عَالِمِ السَّرَائِرِ
فَفِي الْكِتَابِ قَالَ إِنْ تَجْتَنِبُوا ... وَالْعَفْوُ مِنْهُ يَرْتَجِيهِ الْمُذْنِبُ

(وصار) ذهب (للتأويل) وهو صرف اللفظ الموهم للتشبيه عن ظاهره إلى معنى يليق بالله (قوم) جماعة من العلماء (عينوا) المعنى مما يليق بالله (راجحا) عندهم (وبينوا) المراد من النص الموهم ما لا يليق بالله

(إذ فسروا الوجه) فى قول الله ويبقى وجه ربك (بذات واليدا) فى قول الله يد الله فوق أيديهم (بقدرة وذا) أى التاويل (الامام) للحرمين (أيدا) أى قوى .

(وقوله) أى الله (سبحانه) أأمنتم (من فى السماء معناه بالأمر وسلطان) أى حكم (سما) أى علا

(وقس على هذا) التأويل المذكور (جميع ما اشتبه) خفى وأشكل ظاهر وأوهم التشبيه (فى الذكر والحديث وادر) اعرف (المرتبة) فى التأويل

(والذنب مقسوم إلى الكبيرة) ولها أمارات منها إيجاب الحد والايعاذ عليها بالعقاب ومثلها بقوله (كالقذف والقتل وللصغيرة) وهى كل ما خرج عن حد الكبيرة

(وهى) أى الصغيرة (بالاجتناب للكبائر مغفورة) معفو عنها وغير مؤاخذ بها (من عالم السرائر) أى الخفيات وهو الله

(فى الكتاب قال) الله (إن تجتنبوا) كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم والمراد الصغائر (والعفو منه) من الله عن الذنوب (يرتجيه المذنب) قال الله (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)

وَاللهُ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهْ   وَيَغْفِرُ الدُّونَ إِذَا شَا فَانْتَبِهْ
وَجَاءَنَا عَنْ مَانِحِ الْعَطَايَا   تَكْفِيرُ حَجِّ الْبَيْتِ لِلْخَطَايَا
كَذَلِكَ الْعُمْرَةُ وَالْقِيَامْ   وَالطُّهْرُ وَالصَّلاَةُ وَالصِّيَامْ
وَغَيْرُهَا وَهْوَ عَلَى الْخُصُوصِ   يُحْمَلُ لِلتَّوْفِيقِ لِلْمَنْصُوصِ
وَذُو كَبِيرَةٍ عَلَيْهِ التَّوْبَهْ   فَرْضٌ بِفَوْرٍ وَاجْتِنَابُ حَوْبَهْ
وَفِي قُبُولِهَا لِغَيْرِ الْكَافِرِ   قَطْعاً وَظَناً وَجْهُ خُلْفٍ سَافِرِ

(والله لا يغفر أن يشرك به) قال الله إن الله لا يغفر أن يشرك به (ويغفر الدون) ويغفر مادون ذلك (إذا شا) لمن يشاء (فانتبه) تيقظ

(وجاءنا عن مانح) معطى (العطايا) وهو رسول الله ﷺ (تكفير حج البيت للخطايا) للذنوب قال رسول الله ﷺ : من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (١)

(كذلك) مثل تكفير الحج للخطايا (العمرة والقيام) أى الصلاة بالليل (والطهر) أى الوضوء والغسل (والصلاة) فرضا كانت أو نفلا (والصيام) فرضاً كان أو نفلا .

(وغيرها) غير المذكورات من العبادات كالصدقة وقراءة القرآن والذكر وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة (وهو) أى الذى جاء فى الأحاديث من تكفير الحج وغيره (على الخصوص يحمل) محمول على الصغائر (للتوفيق للمنصوص) أى للوفاق بين النصوص التى جاءت عنه صلى الله عليه وسلم لما روى أن الكبائر لايكفرها إلا التوبة أو عفو الله

(وذو كبيرة عليه التوبة فرض) وهى الندم على مافات والاقلاع عن المعصية المعصية إن كان ملتبسا بها والنية أن لا يعود (بفور واجتناب حوبه) أى الكبيرة

(وفى قبولها لغير الكافر) وهو المؤمن العاصى (قطعا) أى قبولا قطعيا (أو ظنا) أو قبولا ظنيا (وجه خلف) بين العلماء (سافر) أى ظاهر فقال بعضهم توبة المؤمن مقبولة قطعا بدليل قطعى قال الله (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) وقال بعضهم مقبولة ظنا قويا .

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة بنحوه

وَالْكَافِرُونَ الْقَوْلُ فِيهِمْ مَا اخْتَلَفْ ... لِقَوْلِهِ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفْ
وَالنَّفْسُ وَالْعَقْلُ كَذَا الْمَالُ وَجَبْ ... صَوْنٌ لَهَا وَالْعِرْضُ أَيْضًا وَالنَّسَبْ
وَالرِّزْقُ مَا بِهِ انْتِفَاعٌ مُطْلَقَا ... هَذَا الَّذِى قَدْ قَالَهُ مَنْ حَقَّقَا
وَلَيْسَ مَقْصُورًا عَلَى الْحَلَالِ ... وَوَجْهُهُ بَادٍ بِالِاسْتِدْلَالِ

(والكافرون) التائبون وتوبة الكافر إيمانه (القول فيهم ما اختلف) لم يختلف العلماء فى أن توبة الكافر مقبولة قطعا (لقوله) أى الله (يغفر لهم ما قد سلف) . قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف .

(والنفس والعقل كذا المال وجب صون لها) لهذه المذكورات قال الله ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة وقال (ولا تقتلوا أنفسكم إنه كان بكم رحيما) فكما يحرم عليه قتل غيره يحرم عليه قتل نفسه قال رسول الله ﷺ : من قتل نفسه بشىء فهو معذب بما قتلها به إلى يوم القيامة (١) وحفظ العقل واجب فلا يجوز لأحد أن يتسبب فى زوال عقله ، وحفظ المال (والعرض) وهو موضع المدح والذم من الانسان (أيضا والنسب) أى للاصول وزد على هذه الخمسة حفظ الدين :

(والرزق ما به إنتفاع) أى المال الذى انتفع به العبد (مطلقا) سواء كان حلالا او حراما (هذا الذى قد قاله من حققا) هذا قول المحققين من علماء السنة . أما من قال خلاف ذلك وزعم أن الحرام ليس من رزق العبد فقد أخطأ الصواب .

(وليس مقصورا على الحلال) كما ذهب إليه المعتزلة (ووجهه باد بالاستدلال) بأدلة عقلية ونقليـة وبالمعاينة إذ من الناس من ينتفع بالحرام من مهده إلى لحده ، ومن الأدلة النقلية قول الله « ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » فيرزقها إن شاء مما احل لها او ما حرم عليها وإذا قلنا إن الله لا يرزق الحرام ونحن نرى كثيرا من الناس عيشتهم الحرام ترتب على ذلك أن يكونوا عاشوا ولم يرزقهم الله وهو باطل .

لفظ الحديث « ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة » رواه الشيخان وغيرهما من حديث ثابت بن الضحاك ، وهو جزء من حديث .

وَالنَّصْبُ لِلْاَمَامِ بِالشُّرُوطِ ... فَرْضٌ بِشَرْعٍ بِالْهُدَى مَنُوطِ

وَالسَّمْعُ مَفْرُوضٌ عَلَى الْأَعْيَانِ ... لِأَمْرِهِ فِيمَا سِوَى الْعِصْيَانِ

إِذْ جَاءَ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي ... ذَاكَ وَفِيمَا عَنْهُ لَا يَخْلُو قِفِ

وَلَا يَجُوزُ عَزْلُهُ إِذَا طَرَا ... عَلَيْهِ فِسْقٌ أَوْ بَغَى أَوِ اجْتَرَى

وَلَا الْخُرُوجُ عَنْهُ إِلَّا إِنْ كَفَرْ ... وَحَافِرُ الْبَغْيِ هَوَى فِيمَا حَفَرْ

(والنصب للامام بالشروط) وهى ان يكون مسلما ذكرا حرا عاقلا بالغاً متعلما مستقيما (فرض) على الكفاية (بشرع) عند أهل السنة لأن الشارع امرنا بإقامة الحدود والجهاد وغير ذلك ولايتم ذلك إلا بامام يرجع الناس إليه فى امورهم (بالهدى منوط) اى معلق .

(والسمع) للامام والطاعة له (مفروض على الأعيان) قال الله واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم (لأمره فيما سوى العصيان) لله .

(إذ جاء) فى الحديث (١) (لاطاعة للمخلوق فى ذاك) فى معصية الخالق (وفيما عنه لا يخلو قف) عن اتباع امره فيما لا يخلو عن معصية قال الله (والله ورسوله احق ان يرضوه إن كانوا مؤمنين) .

(ولا يجوز عزله) أى الامام بعد نصبه (إذا طرا عليه فسق أو بغى) أى ظلم (او اجترى) اى فجر باظهار الكبائر لأن العدالة وإن كانت شرطا فى الامام عند إقامته وتوليته لم يجز عزله عند معظم أهل السنة لما فى ذلك من ثوران الفتن وانتشار المفاسد وقال بعضهم يجوز عزله بفسقه إذا أمكن من غير إراقة دم .

(ولا الخروج عنه) عن طاعته (إلا إن كفر) فيجوز الخروج عن طاعته ويجب عزله لأن من شروط الامام الإسلام (وحافر البغى) أى الظلم (هوى فيما حفر) فى الذى حفر قال الله (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .

---

(١) رواه أحمد والحاكم من حديث عمران بن حصين بلفظ (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) ولأبى داود والنسائى من حديث على عليه السلام (لا طاعة لأحد فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف) .

وَالأَنْبِيَا أَفْضَلُ فَالْمَلَائِكَهْ يَتْلُونَ فِي فَضْلٍ عَلَوْا أَرَائِكَهْ
وَقِيلَ بِالْعَكْسِ وَبَعْضٌ فَصَّلَا فِي ذَاكَ تَفْصِيلاً لَهُ قَدْ أَصَّلَا
وَانْعَقَدَ الإِجْمَاعُ أَنَّ الْمُصْطَفَى أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ وَالْخُلْفُ انْتَفَى
وَمَا نَحَا الْكَشَّافُ فِي التَّكْوِيرِ خِلَافُ إِجْمَاعِ ذَوِي التَّنْوِيرِ
فَاحْذَرْ لِغَيْرِ مَنْعِهِ سَمَاعَهْ وَاتَّبِعِ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَهْ
وَفَضِّلِ الْمَخْصُوصَ بِالإِسْرَاءِ عَلَى الْبَرَايَا دُونَ مَا اسْتِثْنَاءِ

(والأنبيا أفضل) الخلق كلهم (فالملائكة يتلون فى فضل علوا أرائكه) جمع أريكة وهى الأسرة فى الحجال .

(وقيل بالعكس) لما تقدم فالملائكة أفضل فالأنبياء وهو قول المعتزلة (وبعض فصلا فى ذاك تفصيلا له قد أصلا) أى جعله أصلا فى الاعتقاد فقال وسل البشر أفضل يتلوهم رسل الملائكة ثم الصالحون من البشر ثم باقى الملائكة (١)

(وانعقد الاجماع) من العلماء (أن المصطفى أفضل خلق الله) أفضل من جميع الخلق (والخلف انتفى) أى منتف .

(وما نحا الكشاف) أى الزمخشرى المعتزلى فى كتابه الكشاف فى تفسير القرآن (فى التكوير) فى تفسير سورة التكوير من أن جبريل أفضل من سيدنا محمد ﷺ (خلاف إجماع ذوى التنوير)أى التثبت فى العلم .

(فاحذر لغير منعه سماعه) أى سماع ما قاله الزمخشرى (واتبع السنة والجماعة) فى قولهم إن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق فلا تستمع إلى قول من قال غير ذلك إلا برده وإبطاله .

(وفضل المخصوص بالاسراء) وهو سيدنا محمد ﷺ الذى خصه الله بالاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات وفرضت عليه خمسون صلاة ولا زال يراجع ربه إلى أن صارت خمساً (على البرايا دون ما استثناء) دون استثناء أحد فهو أفضل الخلق كلهم .

---

(١) هذا التفصيل ضعيف لادليل يؤيده بل الدلائل ترده ، والصواب الذى لايجوز القول بغيره أن الملائكة أفضل من جميع البشر ما عدا الأنبياء .

وَأَفْضَلُ الْأُمَّةِ ذَاتِ الْقَدْرِ ... أَصْحَابُ مَنْ أُعْطِيَ شَرْحَ الصَّدْرِ
إِذْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَقْضِي لَهُمْ ... بِالسَّبْقِ فِي آيٍ حَوَتْ تَفْضِيلَهُمْ
وَكَمْ أَحَادِيثَ عَلَيْهِمْ تُثْنِي ... كَقَوْلِهِ خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي (١)
وَقَوْلُ طَهَ الْمُصْطَفَى لَوْ أَنْفَقَا ... فَجَلَّ مَنْ زَكَّاهُمُ وَوَفَّقَا
ثُمَّ يَلِيهِمْ تَابِعٌ بَادِي السَّنَا ... فَتَابِعٌ لِتَابِعٍ قَدْ أَحْسَنَا

(وأفضل الامة ذات القدر) أى الشرف قال الله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (أصحاب) سيدنا محمد ﷺ وهم من اجتمع به فى حياته وآمن به ومات على ذلك (من أعطى شرح الصدر) قال الله (ألم نشرح لك صدرك) الخ .

(إذ جاء فى القرآن مايقضى) أى يحكم (لهم بالسبق) إلى الايمان فى (آى حوت) جمعت (تفضيلهم) أى الصحب كقول الله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) وقوله (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) وقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

(وكم أحاديث عليهم تثنى كقوله) أى الرسول صلى الله عليه وسلم (خير القرون قرنى) وهم الصحابة .

(وقول طه المصطفى لو أنفقا) لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٢) (فجل من زكاهم ووفقا) أى خلق قدرة الطاعة فيهم .

(ثم يليهم تابع) وهو من اجتمع بالصحابة (بادى السنا) أى النور (فتابع لتابع) وهم من اجتمع بمن اجتمع مع الصحابة (قد أحسنا) أعماله

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه
(٢) متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى بنحوه .

وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَه ... خَيْرُ الصَّحَابَةِ الْأُولَى كَانُوا مَعَهْ

ورتِّبن الْفَضْلَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ... عَلَى خِلَافَةٍ وقَدِّمْ عَيْنَهُمْ

وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ وفَارُوقٌ يَلِي ... وبَعْدُ عُثْمَانُ وَأَخْتِمْ بعَلِي

زَوْجِ الْبَتُولِ بَضْعَةِ الرَّسُولِ ... مَنْ نَالَ بالسِّبْطَيْنِ أَقْصَى السُّولِ

وبَعْدَ هَؤُلَاءِ باقى الْعَشَرَهْ ... طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ زَاكِي النَّشْرَهْ

وَعَامِرٌ وَسَعْدٌ السَّامِي الْحُلِي ... مَعَ ابْنِ عَوْفٍ وَسَعِيدٍ ذِي الْعُلَا

فَأَهْلُ بَدْرٍ ثُمَّ أَهْلُ أُحُدِ ... فَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ بَعْدَهُ اعْدُدِ

(والخلفاء الراشدون) أى الهادون المهديون (الاربعة) وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم (خير) أفضل (الصحابة الاولى كانوا معه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(ورتبن الفضل فيما بينهم على خلافة) على ترتيب الخلافة (وقدم عينهم) فى الفضل .

(وهو) أى عينهم (أبو بكر وفاروق) لقب عمر (يلى) فى الفضل أبا بكر (وبعد عثمان) فى الفضل (واختم بعلى) واختم الخلافة بعلى رضى الله عنهم

(زوج البتول بضعة الرسول) صلى الله عليه وسلم (من نال بالسبطين) وهما سيدنا الحسن والحسين رضى الله عنهما (اقصى السول) أى المسئول .

(وبعد هؤلاء باقى العشرة طلحة) ابن عبيد الله رضى الله عنه (والزبير زاكى) أى فائح (النشرة) أى الرائحة الطيبة

(وعامر وسعد السامى الحلى) أى الصفات الجميلة (مع ابن عوف وسعيد ذى العلا) أى المراتب العلية

(فاهل بدر) يلون باقى العشرة فى الأفضلية (ثم أهل أحد) يلون أهل بدر فى الأفضلية (فبيعة الرضوان) بالحديبية سنة ست من الهجرة وهم الذين انزل الله فيهم (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)

وَالسَّابِقونَ الأَوَّلُونَ صُرِّحا ... بِفَضْلِهِمْ وَالخُلْفُ فِيهِمْ شُرِحاً
وَبَعْضُ مَن بِالعِلْمِ قَدْ تَحَلَّى ... يَقولُ مَن لِلقِبْلَتَيْنِ صَلَّى
وَالصَّحْبُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ خِيَرَهْ ... فَمَنْ يُرِدْ وَجْهَ اهتِدَا بِهِمْ يَرَهْ
لِأَنَّ مَن أَحَاطَ بِالخَبِيّ ... عِلْماً حَبَاهُمْ صُحْبَةَ النَّبِي
فَهُمْ نُجُومٌ فِي السُّرَى مَنِ اقتَدَى ... بِهِمْ إلى مَعَالِمِ الحَقِّ اهتَدَى
فَلَا تَخُضْ فِيمَا مِنَ الأَمْرِ اختَلَطْ ... بَيْنَهُمْ وَاحذَرْ إذا خُضْتَ الغَلَطْ

(والسابقون الأولون) من المهاجرين والأنصار (صرحا بفضلهم) فى القرآن قال الله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (والخلف فيهم شرحاً) أى السابقون الأولون

(وبعض من بالعلم قد تحلى) أى تزين (يقول) السابقون الأولون (من القبلتين صلى) أى الكعبة والمسجد الأقصى

(والصحب كلهم عدول خيرة) أى فضلاء (فمن يرد وجه اهتدا بهم يره) يجده فى القرآن والحديث قال الله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال رسول الله ﷺ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » (١) .

(لأن من أحاط بالخبى) أى المستور (علماً) وهو الله (حباهم) أعطاهم (صحبة النبى) ﷺ .

(فهم نجوم) أى كالنجوم (فى السرى) أى السير فى الليل والمراد هنا الدين (من اقتدى بهم إلى معالم الحق اهتدى) من اقتدى بالصحابة اهتدى الى الحق .

(فلا تخض فيما من الأمر اختلط) أى وقع (بينهم واحذر إذا خضت

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية بنحوه، وحسنه الترمذى وصححه الحاكم ، وهو من أحاديث الأربعين النووية .

وَالْتَمِسَنْ أَحْسَنَ الْمَخَارِجْ ... لَهُمْ فَالِاجْتِهَادُ ذُو مَعَارِجْ
وَلاَ تُصِخْ لِمَنْ أَبَى الْكَرَامَهْ ... لِلْأَوْلِيَاءِ وَاجْتَنِبْ مَرَامَهْ
وَنَزِّهِ الْقُرْآنَ أَنْ تَقُولاَ ... بِخَلْقِهِ وَاسْتَوْضِحِ الْمَعْقُولاَ

الغلط) بان تنسب لهم مالايليق بمكانهم فانهم كلهم عدول وما وقع بينهم فكل واحد مجتهد ومن أصاب فله أجران ومن اخطأ فله اجر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى من أذاهم فقد أذانى ومن أذانى فقد اذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه » (١) وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فمن سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين (٢) لايقبل الله منهم صرفا ولا عدلا

(والتمسن احسن المخارج) أى التأويلات (لهم فالاجتهاد ذو معارج) أى درجات .

(ولاتصخ) أى لا تستمع (لمن ابى الكرامة للاولياء) والكرامة امر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقـــاد وان ظهر على يد مسلم مستور الحال فهى اعانة اوعلى يد فاسق او كافر فاستدراج (واجتاب مرامه) مقصود من انكر الكرامة والذى عليه اهل السنة ان كل ماجاز ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولى (٣)

(ونزه القرآن ان تقولا بخلقه) اى القرآن (واستوضح المعقولا) أى الدليل العقلى الدال على أن القرآن ليس بمخلوق

---

(١) رواه الترمذى من حديث عبدالله بن مغفل بنحوه . وفى سنده اضطراب وغرابة كما قال المناوى .

(٢) وردت احاديث فى لعن من سب الصحابة لكنها لا تخلومن ضعف فى اسانيدها او نكارة فى معناها ويكفى الحديث الصحيح المتفق عليه (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)

(٣) الصواب تقييد هذه الكلية وتخصيصها . قال فى جمع الجوامع : وكرامات الأولياء حق قال القشيرى : ولا ينتهون إلى نحو ولد دون والد اه أى مما وقع التحدى به من أحد الانبياء : واعتراض الزركشى عليه غير سديد . انظر كتابنا (الحجج البينات فى اثبات الكرامات) ص ٤٣ - ٤٤

لأَنَّهُ وَصْفُ الإِلٰهِ جَلاَّ ... وَمُعْجِزُ النَّظْمِ عَلَيْهِ دَلاَّ
فَذَلِكَ الْمَتْلُو وَالْمَدْلُولُ ... عَلَيْهِ مَا عَنْ قِدَمٍ يَحُولُ
وَالْحَرْفُ وَالصَّوْتُ كَذَا التِّلاَوَه ... مُحْدَثَةٌ وَغَيْرُ ذَا غَبَاوَهْ
وَاحْذَرْ أَقَاوِيلَ ذَوِي الأَهْوَاءِ ... فَإِنَّهَا مِنْ أَدْوَإِ الأَدْوَاءِ
وَاسْلُكْ سَبِيلَ السُّنَّةِ الْغَرَّاءِ ... فَنُورُهَا بَادٍ لِعَيْنِ الرَّائِي
فَالشَّرُّ مَقْرُونٌ بِالابْتِدَاعِ ... وَالْخَيْرُ مَضْمُونٌ بِالاتِّبَاعِ
وَاعْمَلْ بِمَا تَحْوِي بِهِ الأُجُورَا ... وَحَاذِرِ الْفَحْشَاءَ وَالْفُجُورَا

(لأنه) أى القرآن (وصف الاله) المستحيل وصفه بمخلوق (جل) أى عظم الله عن الاتصاف بمخلوق (ومعجز النظم) أى القرآن المعجز المنزل على سيدنا محمد ﷺ (عليه دلا) أى القرآن القديم الذى هو وصف الله.

(فذلك) أى القرآن القديم الذى هو وصف الله (المتلو والمدلول عليه ما عن قدم يحول) أى يتحول.

(والحرف والصوت كذا التلاوة محدثة وغير ذا) أى القول الذى ذكرته وهو القول بان الحرف والصوت قديمان (غباوة) أى جهالة عظيمة.

(واحذر أقاويل ذوى الأهواء) كالمعتزلة والحشوية (فانها من أدوإ) أى أشد وأصعب (الأدواء) أى الأمراض للقلوب لخير القلوب أوعاها للخير

(واسلك سبيل السنة الغراء) أى البيضاء المنيرة (فنورها باد لعين الرائى) لاتلتبس إلا على من أعمى الله بصيرته.

(فالشر مقرون بالابتداع) لأمور ليس لها أصل فى الكتاب ولا فى السنة (والخير مضمون بالاتباع) باتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القرآن والسنة.

(واعمل) العمل الصالح (بما تحوى) أى تحوز وتجمع (به الأجورا) فى الآخرة (وحاذر الفحشاء والفجورا) أى كل ما حرم الله، ومن فضل الله على عباده أنه ما حرم شيئا إلا وجعل بازائه شيئا حلالا حرم الزنا وأباح النكاح

والعُجبَ والغِيبةَ والرِّيَاء واجتَنِبنْ فَخراً وكِبرِيَاء
وأمُرْ بمعرُوفٍ وغَيِّرْ مُنكرا وانصح ونَبِّه ذَا اغتِرَارٍ من كَرا
وابدأ بنفسكَ انهَها عن غيِّها واجعَلْ من التَّقوى جميل زيِّها
واقطع ذَوِي المَيْلِ وواصلْ مَن عَدَلْ ولا تمِلْ إلى المِرَاءِ والجَدَلْ

وحرم الميتة وأباح المذكاة وحرم الربى وأحل البيع وحرم الخمر وأباح من الأشربة مالا يحصى وهكذا .

(والعجب) وحاذر العجب وهو استحسان العبادة والرضا بها عن النفس والترفع بها على الخلق قال رسول الله ﷺ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) (والغيبة) وحاذر الغيبة وهى ذكرك أخاك حال غيبته بما يكره فان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وروى أنها تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق (والرياء) وحاذر الرياء وهو فعل الطاعة لأجل الناس (واجتنبن فخراً وكبرياء) هما لفظان مترادفان فالكبر هو احتقار الناس فمن رأى نفسه أفضل من غيره من سائر الناس لذاته فتكبر .

(وأمر بمعروف) على قدر طاقتك (وغير منكرا) وهو ما أنكره الشرع قال رسول الله ﷺ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه (٢) وقال الله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (وانصح) قال رسول الله ﷺ الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٣) (ونبه ذا اغترار من كرا) من النوم والمراد هنا الغفلة .

(وابدأ بنفسك انهها عن غيها) أى ضلالها (واجعل من التقوى) أى طاعة الله بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه (جمل زيها) أى هيئتها .

(واقطع ذوى الميل) عن سنة رسول الله ﷺ (وواصل من عدل) فى دينه باتباع سنة رسول الله ﷺ (ولا تمل إلى المراء) أى الخصام قال رسول الله ﷺ من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى وسط الجنة ومن تركه وهو

---

(١) رواه أبو الشيخ فى التوبيخ من حديث أنس ، ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديثه ومن حديث ابن عمر .

(٢) رواه مسلم والأربعة من حديث أبى سعيد .

(٣) رواه مسلم من حديث تميم الدارى ، وهو فى الأربعين النووية .

وَفِي كِتَابِ اللهِ أَسْنَى مُكْتَفَى بِهِ وَمَا سَنَّ النَّبِيُّ الْمُقْتَفَى

وَمَا عَلَيْهِ أَجْمَعَ الْأَعْلَامُ مِمَّنْ تَزَكَّتْ مِنْهُمُ الْأَحْلَامُ

فَأَكْرَمُ الْعِبَادِ عِنْدَ اللهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْشِهِ بِاللَّاهِي

وَفِي اتِّبَاعِ السَّلَفِ الْهُدَاةِ وَسِيلَةٌ لِلْأَمْنِ وَالنَّجَاةِ

وَلْنَجْعَلِ الْخِتَامَ بِالشَّهَادَهْ تَفَاؤُلاً بِرُتْبَةِ السَّعَادَهْ

لِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَدْ تَضَمَّنَتْ جُمْلَتُهَا مَا يُعْتَقَدْ

مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة (١) (والجدل) ولا تمل إلى الجدال قال رسول الله ﷺ الجدال ليس من الدين فى شىء وقال «ماضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل» (٢) وقال مالك رضى الله عنه . السنة إظهار السنة وليس من السنة الجدال عن السنة ، ومحل حرمته إذا كان الباعث عليه إبطال قول الغير وأما إذا كان الباعث عليه إظهار الحق وإبطال الباطل فلا يكون حراماً بل يكون مطلوبا .

(وفى كتاب الله أسنى مكتفى) عن غيره فى تبيين ما يصلح الدنيا والآخرة (وما سن النبى المقتفى) أى المتبع قال الله (واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقال (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

(وما عليه أجمع الأعلام) أى العلماء الراسخون (ممن تزكت منهم الأحلام) أى العقول .

(فاكرم العباد عند الله من لم يكن فى عيشه) أى حياته فى الدنيا (باللاهى) اللاعب المشتغل عن الله قال الله (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) وقال (رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

(وفى اتباع السلف الهداة وسيلة للامن) يوم القيامة (والنجاة) من النار .

(ولنجعل الختام بالشهادة) وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله (تفاؤلا برتبة السعادة) فى الدنيا والآخرة .

(لأن لا إله إلا الله) محمد رسول الله (قد تضمنت جملتها ما يعتقد) ما يجب اعتقاده وما يستحيل وما يجوز فى حق الله وحق الرسل عليهم الصلاة والسلام ،

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى أمامة نحوه .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وصححه من حديث أبى هريرة نحوه .

فِي حَقِّ رَبِّنَا وَفِي حَقِّ الرُّسُلْ ... النَّاهِجِينَ لِلْوَرَى أَهْدَى السُّبُلْ
مِنْ وَاجِبٍ وَجَائِزٍ وَمَا امْتَنَعْ ... وَمَنْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا ارْتَفَعْ
كَمَا تَوَلَّى بَسْطَهُ السَّنُوسِي ... مُغْتَرِفاً مِن فَيْضِهِ الْقُدُّوسِي
وَقَدْ أَخَذْتُ كُتْبَهُ دِرَايَهْ ... عَمَّنْ تَلَقَّى فِي الْعُلُومِ الرَّايَهْ
عَمِّى سَعِيدٍ الإِمَامِ الْمَقَّرِى ... عَنْ ابنِ مَلاَّلٍ عَنِ الْحَبْرِ السَّرِى
سَعِيدٍ الشَّهِيرِ بِالْكَفِيفِ ... عَنِ السَّنُوسِي الرِّضَا العَفِيفِ
مُؤَلِّفِ الْعَقَائِدِ الشَّهِيرَةْ ... وَفَضْلُهُ كَالشَّمْسِ فِى الظَّهِيرَةْ
وَهُوَ الَّذِى يَقُولُ مَا مَعْنَاهُ ... فِى سِرِّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ
لَعَلَّهَا لِلاخْتِصَارِ مَعَ مَا ... تَضَمَّنَتْهُ خَصَّهَا ذُو النَّعْمَا

(فى حق ربنا وفى حق الرسل الناهجين) أى المبينين (للورى أهدى السبل) أى الطرق .

(من واجب وجائز وما امتنع ومن يكن يعرف معناها) أى لا إله إلا الله محمد رسول الله (ارتفع) قدره فى الدنيا والآخرة .

(كما تولى بسطه السنوسى) محمد بن يوسف السنوسى (مغترفاً من فيضه) أى الله (القدوسى) أى المنزه عن كل نقص .

(وقد أخذت) أى تعلمت (كتبه دراية) أى فهماً لا مجرد رواية (عمن تلقى فى العلوم الراية) أى أخذ الراية فى العلوم .

(عمى سعيد الامام المقرى) الذى تلقى (عن ابن ملال عن الحبر) أى العالم (السرى) أى الشريف .

(سعيد الشهير بالكفيف) الذى تلقى (عن السنوسى الرضا العفيف) أى المشهور بالعفة .

(مؤلف العقائد الشهيرة وفضله) أى السنوسى (كالشمس فى الظهيرة) وقت الظهيرة .

(وهو) أى السنوسى (الذى يقول ما معناه فى سر لا إله إلا الله) أى قول لا إله إلا الله

(لعلها للاختصار مع ما تضمنته) من عقائد الايمان فى حق الله وحق الرسل (خصها ذو النعما) أى صاحب النعما .

بِكَوْنِهَا تَرْجَمَةَ الإِيمَانِ ... فَالْهَجْ بِذِكْرِهَا مَعَ الإِدْمَانِ
وَهِيَ أَفْضَلُ وُجُوهِ الذِّكْرِ ... فَاشْغَلْ بِهَا الْعُمْرَ تَفُزْ بِالذُّخْرِ
وَهَاهُنَا نَظْمُ الْعَقِيدَةِ انْتَهَى ... مُبَلِّغاً لِمَنْ وَعَاهُ مَا اشْتَهَى
وَفَاءُ عَدِّهِ بِنِصْفِ الأَلْفِ ... وَالرَّمْزُ بِالْجُمَّلِ فِيهِ أَلْفِي
وَكَانَ إِتْمَامِي لَهُ بِالْقَاهِرَهْ ... وَفِيهِ تَارِيخُ جَلاهُ الظَّاهِرَهْ

(بكونها ترجمة الايمان) أى جعلها الشرع ترجمة على ما فى القلب من الاسلام ،
(فالهج بذكرها مع الادمان) اى الادامة .
(وهى أفضل وجوه الذكر) أى أنواع الذكر قال رسول الله ﷺ (أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله) (١) (فاشغل بها العمر تفز بالذخر) أى فى العاقبة بالثواب الذى يذخر لك عند الله (٢) .
(وهاهنا نظم العقيدة انتهى مبلغا لمن وعاه) أى حفظه (ما اشتهى) أى أحب من علم التوحيد
(وفاء عده بنصف الألف) أى خمسمائة (والرمز) أى الاشارة (بالجمل) بحسابها (ألفى) وذلك أن الواو من وفاء ستة والفاء ثمانون والألف واحد والعين من عدة سبعون والدال أربعة والهاء خمسة والباء من بنصف اثنان والنون خمسون والصادستون والفاء ثمانون واللام من الألف ثمانون والفاء ثمانون فمجموع ذلك خمسمائة .
(وكان إتمامى له بالقاهرة) وهى قرية كبيرة (٣) من قرى مصر (تاريخ جلاه) أى أظهر التاريخ (الظاهرة) بحساب الجمل فالألف من الظاهرة واحد واللام ثلاثون والظاء تسعمائة والألف واحد والهاء خمسة والراء مائتان والهاء خمسة ومجموع ذلك اثنان وأربعون والف

---

(١) رواه مالك فى الموطأ
(٢) ملحوظة : هذا البيت وهو قوله : وهى أفضل وجوه الذكر الخ ليس من نظم اضاءة الدجنة بل هو من نظم المرشد المعين لابن عاشر الأندلسى المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ
(٣) تقدم أنها عاصمة القطر المصرى . وأكبر مدنه .

وأرتجي من مانح العطايا ... سبحانه الغفران للخطايا
والفوز بالنجاة والأمان ... ونيل ما أنوي من الأماني
بجاه نبراس الهدى الوهاج ... أحمد من أرشد للمنهاج
كهف البرايا الهاشمي العربي ... منيلهم ما أملوا من أرب
عليه مع آل وأصحاب دلوا ... قدرا وأتباع بإحسان تلوا
أزكى تحيات وأسمى وأتم ... يزكو بها مبتدأ ومختتم

(وارتجى من مانح) أي معطى (العطايا سبحانه الغفران للخطايا) أي الذنوب

(والفوز) أي الظفر (بالنجاة) من كل ما أخشاه (والأمان) من كل ضر (ونيل ما أنوي من الأماني) في الدنيا والآخرة

(بجاه) أي قدر وعظمة (نبراس) أي مصباح (الهدى الوهاج) أي شديد الاضاءة (أحمد من أرشد للمنهاج) أي للاسلام

(كهف) أي سند (البرايا) أي المخلوقات (الهاشمي) أي المنسوب لهاشم جد أبيه (العربي منيلهم ما أملو من ارب) أي من حاجة

(عليه مع آل وأصحاب دلوا) أي ارتفعوا (قدرا وأتباع باحسان تلوا) أي تبعوه .

(ازكى تحيات وأسمى) أي أعلى (وأتم) أي أكمل (يزكو) ينمو (بها مبتدأ) أي ابتداء النظم (ومختتم) أي ختامه .

وقد تم ما يسره الله من هذا الشرح فنسأل الله الكريم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يثيبني به يوم الجزاء . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فلله الحمد والمنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وكان الفراغ منه في سبع وعشرين من شهر الله رجب عام ألف وثلاثمائة وإحدى وسبعين من هجرة النبي ﷺ .

تم طبعه مصححا بمعرفة فضيلة
المحدث الكبير أبي الفضل عبد الله الصديق الغماري
سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م

أوجز السير لخير البشر

لابن فارس

عن نسخة فضيلة الأستاذ الشيخ أبي الفضل عبد الله الصديق الغماري

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد جنيد بن محمود بن محمد أخبرنا القاضي الامام السعيد مفتي الفرق بهاء الدين أبو المحاسن عثمان بن علي الفارسي رحمة الله عليه قال أخبرني الشيخ إمام الدين عبد الله ابن شهاب الدين أحمد اليزدي قال أخبرني الشيخ سيف الدين عبد الرحمن بن المظفر المرورودي عن الشيخ الامام محدث الشام قدوة المشايخ الأعلام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن عثمان المعروف بابن الصلاح رحمة الله عليه قال أنبأنا الشيخ أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني قال أنبأنا الشيخان سليمان بن ابراهيم وعبد الله بن محمد الفقيه النيلي قالا ثنا علي ابن القاسم المقرئ أنبأنا أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا النحوي الرازي رحمه الله ، وأخبرني بقراءتي بمدينة الموصل رعاها الله وسائر بلاد الاسلام وأهله الشيخ الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسين بن علي غفر الله الكريم له واللفظ له ولفظ الرواية الأولى موافق له إلا في يسير قال انبأنا الشيخ النحوي المحدث أبو القاسم عبد الرحمن ابن الخطيب أبي محمد عبد الله بن أبي الحسن الخثعمي ، ثم السهيلي ؛ قال أنبأ الشيخ الفقيه الحافظ العلامة الحاج العرافة أبو بكر محمد بن الشيخ الفقيه عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري أرضاه الله سماعا أنبأ الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي الزاهد في بيت المقدس في شهر رمضان في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة أنبأنا الشيخ الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي قراءة عليه سنة أربعين وأربعمائة أنبأ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا قال :

هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظه ويجب على ذي الدين معرفته من نسب رسول الله ﷺ ومولده ومنشأه ومبعثه وذكر أحواله في مغازيه ومعرفة أسماء ولده وعمومته وأزواجه فان للعارف بذلك رتبة تعلو على رتبة

من جهله كما أن للعلم به حلاوة فى الصدر ولم تعمر مجالس الخير بعد كتاب الله عزوجل بأحسن من أخبار رسول الله ﷺ وقد أثبتنا فى مختصرنا هذا من ذلك ذكرا ، والله نستهديه التوفيق وإياه نسأل الصلاة على زين المرسلين وسيد العالمين وخاتم النبيين وإمام المتقين

نسبه ومولده صلى الله عليه وسلم

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا إجماع الأئمة

وولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول ، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوج آمنة عبد الله بن عبد المطلب فحملت برسول الله ﷺ ثم بعث عبد المطلب عبد الله يمتار له تمرا من يثرب فتوفى بها وولدت آمنة رسول الله ﷺ يوم الاثنين وكان فى حجر جده عبد المطلب فاسترضعه امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبى ذؤيب السعدى فلما شب وسعى ردته إلى أمه فافتصلته

وفاة والداته

فلما أتت له ست سنين ماتت أمه فى مرجعها من المدينة بالأبواء فيتم فى حجر جده عبد المطلب فلما أتت له ثمانى سنين وشهران وعشرة أيام توفى جده عبد المطلب فوليه أبو طالب ابن عبد المطلب وكان أخا عبد الله لأمه وأبيه فلما أتت له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجرا قبل الشام فنزل تيماء فرآه حبر من أحبار يهود تيما يقال إنه بحيرا الراهب فقال لأبى طالب من هذا الغلام الذى معك قال هو ابن أخى قال أشفيق أنت عليه ؟ قال نعم قال فو الله لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود إنه عدو لهم فرجع إلى مكة وشب رسول الله ﷺ

زواجه ﷺ

فلما أتت له خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام خطب خديجة لنفسها فحضر أبو طالب ومعه بنو هاشم ورؤساء سائر مضر فخطب أبو طالب فقال :

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وذرع اسماعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به وإن كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فتزوجها فبقيت عنده قبل الوحى خمس عشرة سنة وماتت ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر

أولاده وزوجاته ﷺ

فأما ولده منها فستة، القاسم وبه كان يكنى والطاهر ويقال إن اسمه عبد الله وفاطمة وهى أكبر ولده وزينب ورقية وأم كلثوم فأما إبراهيم ابنه فانه من ماريا، وأما الغلمة الثلاثة فماتوا وهم يرضعون، ويقال بلغ ابنه القاسم أن يركب الدابة ويسير على النجيبة، وأما البنات فتزوج على رضى الله عنه فاطمة وتزوج أبو العاص بن الربيع زينب وتزوج عثمان رضى الله عنه أم كلثوم فماتت فزوجه رسول الله ﷺ رقية فجاءت رقية تعتب على عثمان فقال رسول الله ﷺ وما أحب للمرأة أن تكثر شكاية بعلها انصرفى إلى بيتك، فهؤلاء ولده.

وأما نساؤه فلم يتزوج رسول الله ﷺ حتى ماتت خديجة، فنساؤه بعد خديجة سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو، وعائشة بنت الصديق رضى الله عنهما تزوجها وهى بنت ست سنين وبنى بها وهى ابنة تسع ومات رسول الله ﷺ وعائشة بنت ثمان عشر سنة، وحفصة بنت عمر رضى الله عنهما، وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، وأم حبيبة بنت أبى سفيان وكان خطبها له النجاشى وأصدقها عنه أربعمائة دينار، وهند بنت أبى أمية. أم سلمة، وزينب بنت جحش وهى أم الحكم، وجويرية بنت الحرث الخزاعية وصفية بنت حيى، وميمونة بنت الحارث الهلالية، فماتت قبله زينب بنت خزيمة، ومات ﷺ عن أولئك التسع، وكان تزوج أسماء بنت كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلقها وتزوج عمرة بنت زيد إحدى نساء بنى كلاب من بنى الوحيد وطلقها قبل أن يدخل بها، وتزوج امرأة من غفار فلما نزعت ثيابها رأى بها بياضا فقال لها الحقى بأهلك، وتزوج أخرى تميمية فلما دخل عليها قالت. إنى أعوذ بالله منك

فقال «منع الله عائذه الحقى بأهلك» ، ويقال أن اسم التى وهبت نفسها للنبى أم شريك

وأما عمومته وعماته فكان بنو عبد المطلب عشرة الحارث وبه كان يكنى والزبير وجحل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله فعمومته تسعة وأصغرهم سنا العباس .

حدثنا أبو داود سليمان بن يزيد انا محمد بن ماجه أنا نصر بن على أنا عبد الله ابن داود عن على بن صالح قال . كان ولد عبد المطلب عشرة كل واحد منهم يأكل جذعه ، وعماته ست أميمة وأم حكيم وهى البيضاء وبرة وعاتكة وصفية وأروى بنات عبد المطلب .

والعواتك اللاتى ولدنه عاتكة بنت هلال من بنى سليم وهى أم عبد مناف ابن قصى وعاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف وعاتكة بنت الأوقص ابن مرة بن هلال وهى أم وهب بن عبد مناف أبى آمنة ، والفواطم اللاتى يلينه فى القرابة فاطمة بنت سعد أم قصى ، وفاطمة بنت عمرو بن جرول بن مالك أم أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب ، وأمها فاطمة بنت هدم بن رواحة ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها .

مواليه وخدمه ﷺ

وأما مواليه فزيد بن حارثة وبركة وأسلم وأبو كبيشة وأنسة وثوبان وشقران وكان اسمه صالحا ويسار وفضالة وأبو مويهبة ورافع وسفينة .

ومن النساء أم أيمن وكانت حاضنته ، وزوجها زيد بن حارثة ، وهى أم أسامة بن زيد ورضوى ومارية وركانة .

وخدمه من الأحرار انس بن مالك وهند واسماء أبنا حارثة الأسلميان ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه فيها .

بعثه ﷺ

فلما أتت له أربعون سنة ويوم ، بعثه الله عز وجل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً فصدع بأمر الله وبلغ الرسالات ونصح الأمة فشنف القوم له حتى حاصروه وأهله فى الشعب ، وكان الحصار ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وذلك عند خروجه منه .

وفاة عمه وزوجته ﷺ

فلما أتت له تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما مات عمه أبو طالب وماتت خديجة رضى الله عنها بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام .

الاسراء به ﷺ

فلما أتت له خمسون سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فاسلموا ، فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس .

هجرته ﷺ

فلما أتت له ثلاث وخمسون سنة هاجر فيها من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى وكانت هجرته يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول ، وفيها ابتنى بعائشة رضى الله عنها فلما أتت لهجرته ثمانية أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار ، فلما أتت لهجرته تسعة أشهر وعشرة أيام دخل بعائشة فلما أتت لهجرته سنة وشهر واثنان وعشرون يوما زوج علياً فاطمة رضى الله عنهما .

غزواته ﷺ

فلما أتت لهجرته سنة وشهران وعشرة أيام غزا ﷺ غزوة ودان حتى بلغ الأبواء فلما أتت لهجرته سنة وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما غزا عيراً لقريش فيها أمية بن خلف ، وخرج فى طلب كرز بن جابر وكان أغار على سرح المدينة بعد ذلك بعشرين يوما فلما أتت لهجرته سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً غزا غزوة بدر وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وأصحابه يومئذ ثلثمائة رجل وبضعة عشر رجلا والمشركون بين التسعمائة والألف وكان ذلك يوم الفرقان يوم فرق بين الحق والباطل وذلك قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) . ثم غزا بنى قينقاع ثم غزا غزوة السويق فى طلب أبى سفيان صخر بن حرب ثم غزا بنى سليم بالكديد ثم غزا ذا أمر وهى غزوة غطفان ويقال غزوة أنمار ثم كانت غزوة أحد فى السنة الثالثة وغزوة بنى النضير على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وغزا بعد ذلك بشهرين وعشرين يوماً غزوة

ذات الرقاع وفيها صلى صلاة الخوف وغزا دومة الجندل بعد ذلك بشهرين وأربعة أيام ثم غزا بعد ذلك بخمسة أشهر و ثلاثة أيام بني المصطلق من خزاعة وهي التي قال فيها أهـل الأفك ماقالوا ثم كانت غزوة الخندق وقد مضى من الهجرة أربع سنين وعشرة أشهر وخمسة أيام ثم غزا بعد ذلك بتسعة عشر يوما بني قريظة ثم غزا إلى بني لحيـان بعد ذلك بثلاثة أشهر ثم غزا غزوة الغابة وهي سنة ست ثم اعتمر عمرة الحديبية في سنة ست ثم غزا خيبر وقد أتت لهجرته ست سنين وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوماً ، ثم اعتمر عمرة القضية بعد ذلك بستة أشهر وعشرة أيام ثم غزا مكة وفتحها وقد مضى من هجرته سبع سنين و ثمانية أشهر وأحد عشر يوما وغزا بعد ذلك بيوم غزوة حنين ثم غزا الطائف في هذه السنة فلما أتت لهجرته ثماني سنين وستة أشهر وخمسة أيام غزا غزوة تبوك ، وفي هذه السنة حج أبو بكر بالناس وقرأ عليهم علي بن أبي طالب سورة براءة ، فلما أتى لهجرته تسع سنين وأحد عشر شهراً وعشرة أيام حج رسول الله ﷺ حجة الوداع .

وفاته صلى الله عليه وسلم

فلما أتى لهجرته عشر سنين وشهران توفي رسول الله ﷺ وقد بلغ من السنين ثلاثاً وستين سنة ﷺ حدثنـا علي بن إبراهيم أنبأ محمد بن ماجه أنبأ علي بن محمد الطنافسي أنبأ وكيع أنبأ أبي واسرائيل عن أبي اسحق السبيعي قال سألت زيد بن أرقم كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، وغزوت معه سبع عشرة غزوة وسبقني بغزاتين ، وأما رفقاؤه النجباء فعلي وابناه وحمزة وجعفر وأبو بكر وعمر أبو ذر والمقداد وسلمان وحذيفة وابن مسعود وعمار بن ياسر و بلال رضي الله عنهم ، ومن كان يضرب أعناق الكفار بين يديه علي والزبير ومحمد بن مسلمة وعاصم بن أبي الأقلح والمقداد ، وحرس رسـول الله ﷺ يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ ، وحرسه بأحد محمد بن مسلمة الانصاري ، وحرسه يوم الخندق الزبير بن العوام ، وكان عباد بن شريك حرسه ، وحرسه سعد بن أبي وقاص وحرسه لما بنى بصفية وهو بخيبر أبو أيوب الأنصاري ، وحرسه بلال بوادي القرى فلما نزل (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من النـاس) ترك الحرس ، وكان سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الفقـار ، وكان سيفاً أصابه يوم بدر . وكان له سيف ورثه عن أبيه وأعطاه سعد بن

عبادة سيفا يقال له العضب ، وأصاب من سلاح بنى قينقاع سيفا قلعيا ، وكان له البتار والحتف ، وكان له المخذم والرسوب وكانت ثمانية أسياف ، وأصاب من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أرماح ، وكان له سواها رمح يقال له المتثنى ، وكانت له عنزة وكان له محجن ومخصرة تسمى العرجون وقضيب يسمى الممشوق : وكانت له منطقة من أديم مبشور فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف من فضة . وكانت له من الدروع ذات الفضول ودرعان أصابهما من بنى قينقاع يقال لاحداهما السغدية . ويقال كانت عنده درع داود عليه السلام التى لبسها لما قتل جالوت . وكانت له قوس من شوحط يقال لها الروحاء وقوس من شوحط تدعى البيضاء وقوس من نبع تدعى الصحراء وقوس تدعى الكتوم . وكانت الجعبة تدعى الكافور . ويقال إن رجلا أهدى لرسول الله ﷺ ترسا عليه تمثال عقاب فوضع يده عليه فاذهب الله عزوجل ذلك التمثال . وكانت له راية سوداء مخملة يقال لها العقاب وكان لواؤه أبيض « وكان له مغفر يقال له السبوغ . ويقال كان لرسول الله ﷺ افراس منها الورد أهداه له تميم الدارى . ومنها الظرب ومنها السكب وكان أول فرس ملكه رسول الله ﷺ وكان له فرس يقال المرتجز . وكانت له بغلة يقال لها الدلدل وهى أول بغلة ركبت فى الاسلام . وكان له حمار يقال له عفير وكانت له من النوق العضباء والقصوى ومروة . وكانت لقحة وكانت له البغوم وكانت له مائة من الغنم ويقال ترك يوم مات ثوبى حبرة وازارا عمانيا وثوبين صحاريين وقيصا صحاريا وقيصا سحوليا وجبة يمنية وخميصة وكساء أبيض وقلانس لاطئة صغارا أربعا وازارا طوله خمسة أشبار . وملحفة مورسة وكان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر . ويعتم وكانت له ربعة فيها مرآة ومشط عاج ومكحلة ومقراض ومسواك وكانت له قدح مضبب بثلاث ضبات فضة وتور من حجارة يقال له المخضب ومخضب من شبه . وقدح من زجاج ومغسل من صفر . وقصعة وكان له رير قطيفة . ويروى أن رسول الله ﷺ قال « عليكم بالعود الهندى فان فيه سبعة أشفيه » وانه قال « أطيب الطيب المسك » وكان يتبخر بالعود ويطرح معه الكافور وكان له فيما يروى : خاتم من حديد ملوى بفضة وكان نقشه محمد رسول الله . وأهدى له النجاشى خفين ساذجين فلبسهما ﷺ فهذا أوجز ما أملى من حديث مولده ومبعثه وأحواله ﷺ وشرف وكرم وعظم وحشرنا فى زمرته آمين .

{ تم بحمد الله }

فهرس الكتاب